كتاب مدرسي

سيرة خير البرية

محمّد ﷺ ١

العهد المكّي

عثمان نوري طوپّاش



دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

إسطنبول: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

إسطنبول: ١٤٣٧/ ٢٠١٦

اسم الكتاب باللغة التركية: Hazret-i Muhammed Mustafâ - 1 (Ders Kitabı)

الترجمة للعربية: سيرة خير البريّة محمد ﷺ – كتاب مدرسي –١

تأليف: عثمان نوري طوبّاش

إعداد:

د. فاروق قانكر

أ. لقمان حلوجي

مراجعةو تصحيح وتدقيق: الدكتور.آدم أقيـــن

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: ٩٧٨٩٩٤٤٨٣٤١٥٥

طباعة وتغليف:

مطبعة دار الأرقم

Language : Arabic

العنوان:

▸ Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.net
Web site : www.islamicpublishing.net

كتاب مدرسي

سيرة خير البريّة

محمد ﷺ

- ١ -

العهد المكّي

تأليف

عثمان نوري طوباش

إعداد

د. فاروق قانكر

أ. لقمان حلوجي

ترجمة

د. أحمد عبد الله نجم

مراجعة وتصحيح وتدقيق

د. آدم حسين أقين

المقدمة

المصطفى ﷺ أول خلق الله
وآخر الأنبياء ونور الوجود والرحمة المهداة

إن هذه السطور العاجزة يستحيل عليها أن تتحدث عن سيرة رسول الله ﷺ بما تستحق تلك السيرة التي لا نظير لها ولا شبيه. ذلك أن رسولنا الكريم ﷺ هو سبب وجود الكون كله وهو حبيب الحق ﷻ. ولكن توجد فوائد جمة لا حصر لها في سعي كل واحد منا على قدر طاقته واستطاعته لفهم تلك السيرة وذكرها. وهكذا يكون أعظم شرف لنا أن نتمكن من تحقيق هذا الأمر والكتابة عن سيرته الشريفة وأن يكون لنا نصيب من الإقتداء بشخصيته النموذجية لنتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ.

ولعل من الصواب هنا أن نؤكد على أن هذا الكتاب هو رشحة صغيرة جدًّا من نهر تلك السيرة المتدفق،لأننا لو حاولنا أن نجمع بين دفتيه السيرة كلها لكنا كمن يريد أن يجمع البحر المحيط في كوب صغير أو يلملم نجوم السماء في عقد وحيد.

إن الحق ﷻ قد عد طاعة الرسول ﷺ من طاعته. وأخبرنا ﷻ أن إظهار أدنى قدر من عدم الإحترام له ﷺ يجعل الأعمال تذهب سدى. وجعل الله تعالى إظهار المحبة والإحترام له ﷺ امتحانًا لتقوى القلوب. حيث إنه جعل التحدث إلى النبي ﷺ بصوت مرتفع علامة على الجهل وحبوط العمل. وأمرنا بالصلاة والسلام دائماً عليه، وأعلمنا بضرورة ذكره دائماً في كل لحظة حتى أنه سبحانه طلب منا عندما نجلس لقراءة التحيات في الصلاة أن نقول للرسول الكريم ﷺ "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته". ورغم أن الواحد منا لو سلم على أحد في الصلاة لفسدت صلاته؛ إلا أن الصلاة على النبي ﷺ واجبٌ من واجبات الصلاة. ذلك أن الصلاة على رسولنا الكريم ﷺ هي نور أبدي وعالم من الأسرار يمكن أن يوصلنا إلى حقيقة محبته بشكل مؤكد وأصيل.

ونحن نتضرع إلى الله ﷻ أن يمن علينا ويساعدنا في سعينا لإدراك أحواله وتصرفاته المباركة.

وقد كان لحسن القبول الذي حظي به كتابنا المسمى "سيرة خير البرية محمد ﷺ" بجزئيه في بلادنا وفي عدد من البلاد الأخرى، وتدريس هذا الكتاب كأحد المراجع المعتبرة في المؤسسات التربوية والتعليمية الإسلامية المختلفة للشباب الذين يعد مستقبلهم أمانة في أعناقنا أكبر الأثر في دفعنا لتناول هذا الكتاب من جديد وإعداد هذا الكتاب بشكلٍ مدرسي تعليمي.

وقد تم اختصار هذا الكتاب وتبسيطه ليناسب الطلاب في المستوى المتوسط فقمنا باعداد هذا الكتاب في جزئين، الأول يتحدث عن العهد المكي والثاني يتناول العهد المدني من سيرة الرسول ﷺ. ولكنا حافظنا على الاصطلاحات والكلمات والتعبيرات التي رأينا أنها ضرورية لنقل ثقافة الإسلام والقرآن للأجيال التالية.

وقد قسمنا هذا الكتاب بجزئيه إلى سبعة أقسام وفي ختام كل قسم وضعنا حوالي خمسين سؤالاً متنوعًا من الأسئلة التقليدية، وأسئلة الإختيار من متعدد"، وأسئلة إكمال الفراغ وذلك لتأكيد المعرفة والحفظ والتفسير والتوضيح.

وقد راعينا عند إعداد تلك الأسئلة واختيارها أن تكون موجهة لزيادة معلومات الطلاب، وأن تدفعهم للتفكر في الحكمة الكامنة في أحداث السيرة، كما أنها تساعدهم على ربط الأحداث بالوقت الحاضر.

وإني في ختام هذا التقديم أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة التي أظهرت سعيًا وحماسًا لإعداد هذا الكتاب من جديد في هذا الشكل وهم: د. فاروق قانكر، وإسماعيل كونداي، ومبارك أرقول و د. علي جان تاتلي. وأدعو الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب صدقة جارية لهم.

وأتضرع إلى الله تعالى برحمته الواسعة أن يعفو عن زلاّتنا وأخطائنا كلها التي لا يخلو منها عبد ضعيف عاجز.

عثمان نوري طوپّاش

اسطنبول

٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ

سلطان الأنبياء

يقول الله ﷻ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم، ٤)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب، ٢١)

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب،٥٦)

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (الحشر، ٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد، ٣٣)

﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء، ٦٩)

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ﴾ (التوبة، ٦٣)

وقال رسول الله ﷺ:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (الموطأ، حسن الخلق، ٨٢)

«إنه ليس من شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والأنس» (أحمد، المسند، جـ ٣، ٣١٠)

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي» (الموطأ، القدر، ٣٢)

وقد عبر مولانا جلال الدين الرومي عن محبته العميقة لرسول الله ﷺ فقال:

«أنا عبد القرآن ما دامت هذه الروح في الجسد. أنا تراب طريق محمد المختار ﷺ. ولو نقل أحدهم كلمة أخرى غير ذلك فأنا بعيد عن هذا الشخص و بعيد عن تلك الكلمة».

أما الشاعر التركي محمد عاكف أرصوي فقد عبر عن مدى احتياج الإنسانية كلها لسيد الكون ﷺ بهذه الأبيات الرائعة فقال:

لو كان للدنيا صاحب فكل ما فيها لك
المجتمع مدين لك والفرد مدين لك
البشرية جميعها مدينة لذلك المعصوم
فيا رب احشرنا بهذا الإقرار يوم الحشر

أهمية معرفة سيدنا محمدٍ ﷺ في فهم الإسلام ومعايشته:

إن أخلاق سلطان الأنبياء محمد ﷺ هو محيط واسع. وقد شكل الرسول الكريم ﷺ ذروة الأخلاق والخصال الجميلة، وتجمعت فيه ﷺ الأوصاف والميزات الفارقة كلها - المعلومة والمجهولة - لما يقرب من مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول جاؤوا قبله.

وكان سيدنا محمد ﷺ هو الشخص والرسول الوحيد الذي سجل التاريخ حياته كلها كاملة حتى أدق التفاصيل فيها. وقد وصلت إلينا بفضل الله ﷻ

ونحن كبشر يجب علينا في مواجهة شتى أنواع ابتلاءات الحياة ومصائبها وامتحاناتها ولكي ننأى بأنفسنا عن الفتن يجب علينا ألا نفقد توازننا أمام مزالق الحياة وعواطفها، وأن نتحلى بالفضائل الأخلاقية العالية مثل الشكر والتوكل والرضا بالقدر والصبر على البلايا والشجاعة والتضحية والقناعة وغنى القلب والكرم والتواضع. وأجمل نموذج لنا في هذه الأمور كلها هو رسول الله ﷺ المرشد الكامل الذي كان بحياته الطاهرة النموذجية المثالية المتميزة هدية الحق ﷻ للبشرية كلها. وواجبنا تجاه هذا الإحسان الإلهي اللامحدود أن نسعى جاهدين لتعلُّم سيرة المصطفى فخر الكائنات المباركة العطرة.

والتعرُّف على رسولنا ﷺ بكل جوانب شخصيته توجد له أهمية عظمى من ناحية فهم القرآن الكريم وإدراك مقاصده والوقوف على دقائق معانيه. لأن رسول الله ﷺ قد عاش القرآن الكريم وتمثله في حياة النبوة التي استمرت ثلاثة وعشرين عامًا وفسره بأكمل شكل وأجمله. ولهذا السبب فإن أي مسلم لا يستطيع أن يفهم القرآن الكريم دون أن يتعلم أقوال الرسول ﷺ وحياته على أفضل نحو ممكن.

ومن جديد فإن أي مسلم يمكنه أن يفهم الثقافة الإسلامية بشكل صحيح فقط عن طريق دراسة سيرة النبي ﷺ، والتعمق فيها والتعايش معها بالقدر اللازم. ووجدان أي رجل وعالمه القلبي يمكنه أن يصل إلى النضج الحقيقي على قدر امتلائه بالفيض والنور والطاقة المعنوية التي تأتي من تلك السيرة لأن أفضل لوحة عرضت قواعد الإسلام وأحكامه بشكل لا مثيل له كانت هي حياة نور الوجود محمد ﷺ.

وباختصار فإذا كنت شابًا يريد أن يحقق الاستقامة والسكينة، أو كنت واعظًا يدعو الناس إلى طريق الله تعالى ويحمل هم تبليغ رسالته بالحكمة والموعظة الحسنة، أو كنت رئيس دولة يريد أن يحكم دولته بالعدل والحق والفضيلة، أو كنت رب أُسْرةٍ يريد أن يكون نموذجًا لأفراد عائلته بمعاملاته الحسنة، أو كنت والدًا لا يكف أبدًا عن إظهار الرحمة والشفقة تجاه أطفاله وزوجته، أو كنت قائدًا رفيع الشأن والمقام تعرف قواعد الإدارة والقيادة، باختصار أيّاً ما كانت صفتك وأيّاً ما كانت أحوالك وأيّاً ما كان سنك فستجد دائماً في حياة رسولنا الكريم ﷺ وفي أحداث سيرته الشريفة أكمل مرشد وأجمع نموذج وأحسن قدوة لك. وبلا شك فإن معايشة المصطفى ﷺ وتعلمها وتعليمها ستمنح الإنسانية إحياء جديدًا وحياة رائعة.

تاريخ الكعبة وقدسيتها:

الكعبة لغة هي: «الشيء الذي يكون على شكل مكعب».

وقد ذُكرت الكعبة مرتان في القرآن الكريم. ويطلق الناس على الكعبة «المعظمة» عدة أسماء مختلفة مثل البيت وبيت الله، والبيت العتيق، والبيت الحرام والبيت المحرم والمسجد الحرام[١].

وعندما أُنزِل آدم عليه السلام إلى الأرض كلف ببناء معبد في المكان الذي به بيت الله الحرام في مكة.[٢] (الطبري، تاريخ الطبري، جـ ١، ١٢٤) وفي ذلك يقول الحق عز وجل في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران، ٩٦)

وفي الحديث الشريف الذي رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال:

---

١ بنيت الكعبة بيت الله الحرام على قواعد تبلغ مساحتها ٥ ,١م تقريباً. وتبلغ مساحة الكعبة من الخارج ١٠,٧أ ١٠ × ١٢ م أما ارتفاعها فيبلغ ١٥ مترًا. ويبلغ عدد أحجار البازلت التي أقيمت بها الكعبة المشرفة ١٦١٤ حجرًا جلبت من الجبال المحيطة بمكة. ويقع «الحجر الأسود» على ارتفاع ٥ ,١م في الركن الشرقي محفوظًا في غلاف من الفضة. وهذا الحجر يشير إلى نقطة بداية الطواف ونهايته. أما باب الكعبة فيرتفع مترين عن الأرض ويقع في جنوب شرقي البناء. أما الجدار الذي يقع بين الباب والحجر الأسود فيسمى «الملتزم».

٢ الطبري، تاريخ الطبري، جـ ١، ١٢٤

«سألت رسول الله ﷺ فقلت: أي مسجد وضع في الأرض أوّلَ؟ قال: **المسجد الحرام**. فقلت: ثم أي؟

قال:**المسجد الأقصى**».(البخاري، الأنبياء ١٠/ ٣٣٦٦).

أي أن وادي مكة اختير مع أول إنسان ليكون مكانًا مقدسًا.

وبعد طوفان سيدنا نوح عليه السلام ظلت الكعبة المشرفة مطمورة تحت الرمال لمدة طويلة. وبعد سنوات عديدة جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مكة وقابل ابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام الذي كان يعيش في مكة مع أمه هاجر عليها السلام وقال له:

"إن الله تعالى قد أمرني أن أبني له بيتاً في مكة. وسوف تساعدني في هذا العمل".

وكان سيدنا إسماعيل عليه السلام يحمل الأحجار مع جبريل عليه السلام. وكان إبراهيم يرفع قواعد البيت. وفي مقام إبراهيم بجوار الكعبة يوجد حجران من الرخام عليهما آثار أقدام سيدنا إبراهيم عليه السلام وكان هذان الحجران بمثابة المصعد الذي كان يحمل سيدنا إبراهيم عليه السلام أثناء بناء الكعبة.

وفي ذلك يقول الحق عز وجل:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة، ١٢٧)

وعندما انتهى سيدنا إبراهيم مع سيدنا إسماعيل (عليهما السلام) من بناء الكعبة توجها إلى الله تعالى بهذا الدعاء قائلين:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة، ١٢٨، ١٢٩)

وبعد أن تم بناء الكعبة أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يدعو الناس أجمعين بالحج إلى بيته الحرام وفي ذلك يقول الحق عز وجل:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج، ٢٧)

وعندما تلقى إبراهيم عليه السلام هذا الأمر الإلهي صعد على جبل قبيس ونادى قائلاً:

«إيها الناس إن الله قد بنى له بيتاً في مكة فحجوا إليه» (كمال ميراث، ترجمة التجريد، جـ٦، ٢٠-٢١)

وبعد أن قام سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذا الإعلام جاء إليه سيدنا جبريل عليه السلام وبين له الصفا والمروة وحدود الحرم الشريف. ووضع حجرًا على كل منها ليكون بمثابة العلامة عليهما، ثم بعد ذلك علمه مناسك الحج وأركانه.

وبعد ذلك توافد الزائرون القادمون إلى الحجاز من كل فج عميق لزيارة بيت الله الحرام، وتحولت الكعبة إلى مركز ديني تصبو وتميل إليه قلوب العالمين.

ولهذا السبب تعرضت الكعبة لهجوم كثير جدًّا من المشركين الذين لا يقدسون الكعبة المشرفة. وفي القرون التي سبقت هجوم أبرهة الأشرم المشرك حاكم اليمن. أراد ثلاثة من حكام اليمن كانوا يعبدون الأصنام هدم الكعبة. وفي اِحدى هذه الهجمات حفز بعض الأشخاص من قبيلة هذيل حاكم اليمن على هدم الكعبة والاستيلاء على الكنوز التي فيها.

وكان التخلص من الأسر هو السبب الذي دفع هؤلاء الأشخاص لتشجيع هذا الحاكم على هدم الكعبة. لأن هؤلاء الأشخاص من قبيلة هذيل كانوا يؤمنون بقدسية الكعبة، ويعرفون جيداً من تجارب التاريخ أن الكعبة بيت الله الحرام وأن من يريدها بسوء ستكون عاقبته الخسران والهزيمة والهلاك.

وعندما هم الملك بالخروج قاصداً هدم الكعبة أرسل إلى حبرين من اليهود فسألهما عن ذلك فقال له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك. فقال لهما فماذا أصنع؟ قالا له: تطوف به وتعظمه وتكرمه. فامتثل هذا الملك لتلك النصيحة وعظم الكعبة المشرفة وأطعم أهل مكة وسقاهم العسل وأكرمهم، وبهذا نجا هذا الملك وأنقذ نفسه من الهلاك والدمار(انظر: ابن هشام: جـ١، ١٩). وهكذا استقر في يقين الناس أن الله تعالى يحفظ مكة والقرشيين بسبب وجود الكعبة بينهم.

وبعد سيدنا إبراهيم عليه السلام استمرت العبادة في بيت الله الحرام على منهاج التوحيد الصحيح حتى بدأ الناس في عبادة الأصنام. ومع بدء عبادة الأصنام في مكة بدأ المشركون في وضع الأصنام داخل الكعبة وحولها. ورغم هذا لم تُضَفْ الكعبة أبدًا في أي وقت إلى الأصنام بل ظل المشركون يذكرونها دائما باسم «بيت الله».

وعندما فُتحت مكة في عهد النبي ﷺ تكسرت الأصنام التي في جوف الكعبة وقام رسول الله ﷺ بغسل الكعبة من الداخل والخارج بماء زمزم. ومنذ ذلك اليوم ظلت الكعبة تغسل بماء زمزم وماء الورد في يوم عرفة في عيد الأضحى وتُطيَّبُ بالعطور الزكية ويتم تبديل كسوتها الشريفة.

ومنذ الأيام الأولى لبناء الكعبة كانت هناك مجموعة من الوظائف المتعلقة والمرتبطة بها، وهذه الوظائف كان يتم تنفيذها وتَسْييرها في تلك الأوقات على يد سيدنا إسماعيل عليه السلام. وقد انتقلت هذه

الوظائف من بعده إلى ابنه ثم بعد ذلك إلى الجراهمة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى عدد من القبائل المتنوعة، ثم استقرت هذه الوظائف في نهاية الأمر في يد قبيلة قريش. وتلك الوظائف التي استقر عليها الحال في مكة هي:

١- **السدَانَة**: وتعني خدمة الكعبة وهي الوظائف المتعلقة بحمل مفاتيح الكعبة، وكسوتها والقيام على أمورها وهي تعد أشرف الوظائف جميعها.

٢- **السقاية**: وهي الوظيفة الخاصة بسقاية الحجيج من بئر زمزم.

٣- **الرفادة**: وهي الوظيفة الخاصة بإيواء فقراء الحجيج وإطعامهم.

وكانت هذه الوظائف تتوزع بين عدد من القبائل عالية الشأن في مكة في عصر النبوة. وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخصص نصيبًا من بيت المال لهذه الوظائف. وبعد ذلك وضع نظام للوفاء بهذه الوظائف. أما في عهد الدولة العثمانية فقد خصصت جزءًا من مخصصات الحرمين الشريفين كل عام للوفاء بتلك الخدمات.

العناية الإلهية بالكعبة وحادثة الفيل

إن الله تعالى الذي أمر ببناء الكعبة قد تكفل سبحانه بحمايتها والمحافظة عليها، ولعل "حادثة الفيل" هي من أوضح الأمثلة في التاريخ التي وضَّحَ هذا الأمر. ذلك أن أبرهة والي اليمن قد بنى كنيسة في صنعاء بمساعدة امبراطور الروم، وأراد أن يحج الناس إليها، ولكن الناس لم يلتفتوا إليه، فغضب أبرهة أشد الغضب وقرر أن يهدم الكعبة ذلك البيت الذي تعظمه العرب من قديم ليصرف الناس عن زيارتها.

وجهز أبرهة جيشًا عظيمًا وخرج قاصدًا مكة، ووضع على رأس تلك الجيوش أفيالاً عظيمة الحجم، وكانت هذه الأفيال بمثابة المدرعات القوية في الجيوش الحديثة في عصرنا الحاضر، وكان أبرهة يعتقد أنه بهدم الكعبة سيتحول الناس إلى زيارة القليس الذي بناه.

وفي أثناء سير جيش أبرهة إلى مكة استولى الجند على مائتي بعير كانت لعبد المطلب سيد قريش وجد المصطفى ﷺ. فذهب عبد المطلب إلى أبرهة ليسترجع الإبل التي أخذت. فدخل على أبرهة فسأله أبرهةُ ما حاجتك؟

فقال عبد المطلب: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أخذها الجنود. فلما قال له ذلك. قال أبرهة قد جئت أهدم الكعبة وتكلمني في مائتي بعير! فقال له عبد المطلب:

إني أنا رب الإبل، أمّا البيت فله رب يحميه. فرد عليه أبرهة في غرور أحمق: ما من أحد يمنعه مني.

وفي النهاية أمر أبرهة جيشه الذي كان يحاصر مكة بالهجوم على الكعبة. ولكن الأفيال تسمرت في مكانها ولم تتحرك. وفجأة امتلأت السماء بطير أبابيل مع كل طائر ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه بِحَجم الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك. وخرج جيش أبرهة هاربًا يبتدر الطريق إلى اليمن، وتحولت مكة إلى مقبرة عظيمة لجند أبرهة وأفياله.

فانظر كيف تحولت هذه الأحجار الصغيرة إلى أسلحة فتاكة جعلت جيش أبرهة حطامًا وترابًا. ولعظم هذه الحادثة والمعجزة الإلهية التي تحققت سمي هذا العام "بعام الفيل".

ومنذ هذا التاريخ اتخذ القريشون هذا العام كبداية لتاريخ الأحداث والوقائع التي تحدث له. وقد خلد الله تعالى تلك الحادثة فسجلها في كتابه الكريم فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل، ١ - ٥)

وتَدُلُّ تلك الحادثة على أن الكعبة بيت الله الحرام، أقيم بأمره تعالى وجعله مكانًا مباركًا مقدسًا لعبادته. ولهذا السبب تكفل الله تعالى بحفظه ورعايته.

أما العقاب الذي ناله أبرهة بسبب عدم احترامه لبيت الله الحرام فقد أصبح بمثابة الإنذار الماثل أمام أعين كل من تسول له نفسه القيام بتهديد الكعبة بيت الله الحرام. وفي ذلك يقول الحق ﷻ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة، ١١٤)

أما أبرهة الذي اغتر بقوته وأعماه جبروته فقد خرج يتساقط جسده في الصحراء قطعة قطعة كلما سقطت قطعة أتبعتها أخرى تقطر قيحا ودمًا، حتى قدموا إلى مدينة صنعاء وهو مثل فرخ صغير وظل يتألم حتى مات.

وقد أراد الحق سبحانه وتعالى استهانة بقدره ألا يجعل هلاك جيشه على يد الحيوانات الضارية كالسباع والأسود والحيات السامة التي تسعى في الصحراء، بل جعل هلاكه على يد مخلوقات ضعيفة هينة هي طير الأبابيل وبواسطة حجارة صغيرة ضئيلة.

وكذلك كان الحال بنفس الشكل مع المتكبرين أمثال فرعون ونمرود وجالوت الذين أهلكهم بمخلوقات ضعيفة صغيرة. وهكذا ثبت أن غرورهم وكبرهم كان بلا معنى ولا قيمة وفي هذا أشد العبرة لمن يعتبر أو ألقى السمع وهو شهيد.

إبراهيم عليه السلام والحنيفية السمحة

رغم سيطرة عبادة الأصنام في مكة بشكل عام؛ إلا أن عقيدة التوحيد لم تندثر بشكل كامل، واستمر قليل من أهل مكة يعتنقون التوحيد الذي جاء به سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وكان الدين الذي جاء به إبراهيم عليه السلام يسمى «الحنيفية».

والحنيف لغة هو: المائل من الشر إلى الخير، والصحيح المائل إلى الإسلام، الثابت عليه، التارك للعقائد الباطلة، المؤمن بالله وحده بلا شريك. وقد جاء ذكر تلك الكلمة في القرآن الكريم في قول الحق عز وجل:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة، ١٣٥).

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياًّ وَلاَ نَصْرَانِياًّ وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران، ٦٧)

وفي عهد الجاهلية كان يطلق لفظ الحنيف على من اعتزل عبادة الأصنام بكل أنواعها وأشكالها، وتوجه إلى الحق سبحانه وتعالى وعبده على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ومن بين هؤلاء الأحناف يمكن أن نذكر رجال مثل ورقة بن نوفل، وعبد الله ين جحش، وعثمان بن حويرث وزيد بن عمرو، وقس بن ساعدة.

وهؤلاء كانوا يأنفون من عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ويعتبرون التوسل إليها لغواً باطلاً.

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل في حديثه الشريف فقال:

«أبصرته في بطنان الجنة عليه سندس».

وتحدث عن زيد فقال:

«يبعث يوم القيامة أمة وحده» (الهيثمي، مجمع الزوائد، ج، ٩ ، ٤١٦)

وقد قرر العلماء أن والد الرسول الكريم ﷺ وأمه كانا من الحنفاء في مكة، والحنيفية ليس شيئًا آخر سوى الإسلام. ولهذا السبب فقد أمر الحق عز وجل رسوله الكريم أن يتبع دين جده إبراهيم الذي كان حنيفاً مسلماً فقال له:

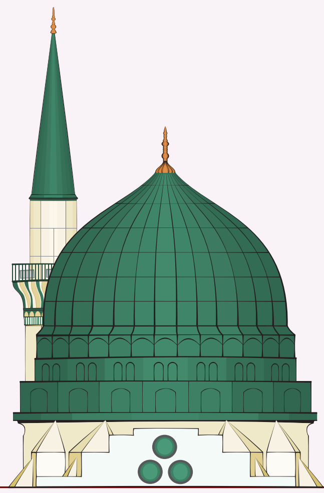
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين. شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم.وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل،١٢٠ - ١٢٣)

ولهذا السبب فإن لفظ حنيف يستعمل أيضاً للدلالة على الإسلام. ويوصف المسلم الحقيقي بلفظ حنيف. وقد وصف رسول الله ﷺ نفسه فقال:

«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ...» (أحمد، المسند، جـ ٥، ٢٦٦).


محمد
صلى الله عليه وسلم
١٤٢٠

القسم الأول





مولد المصطفى ﷺ وطفولته
ونسبه الطاهر ﷺ

والده هو سيدنا عبد الله بن عبد المطلب وأمه السيدة آمنة بنت وهب. يمتد نسبه المبارك إلى عدنان الذي كان أشرف أفراد عائلة قيذار بن سيدنا إسماعيل ؑ. وقد تحدث رسول الله ﷺ عن نسبه في حديثه الشريف فقال:

«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (مسلم، الفضائل، ١)

زواج سيدنا عبد الله من السيدة آمنه:

في تلك الفترة كانت آثار عقيدة التوحيد التي بقيت من عهد سيدنا إبراهيم قد ضاعت. أما الكعبة فقد امتلأت بأصنام القبائل والأقوام المتنوعة. وكانت بئر زمزم التي كانت من عهد سيدنا إسماعيل ؑ قد غارت واختفت. وذات يوم كان عبد المطلب جد الرسول ﷺ نائمًا في حجر الكعبة فرأى في المنام من يأمره بحفر زمزم وأراه علامات وإشارات تدله على مكان الحفر. وعندما ذهب عبد المطلب ليحفر البئر منعته قريش وقالت له: «لا يحفر عند مسجدنا».

وعندما أُسقط في يده ولم يدر ما يفعل نذر نذرًا فقال:

«لئن ولد لي عشرة نفر ثم بلغوا معي حتى يمنعوني لأذبحن أحدهم لله عند الكعبة».

وبعد مدة رجعت قريش عن موقفها لما رأوه في عبد المطلب من أمور وأحوال خارقة للعادة، وسمحت له أن يحفر بئر زمزم. فحفر عبد المطلب البئر وظهرت زمزم.

ومع مرور الوقت رُزق عبد المطلب بعشرة من البنين. بلغوا معه، وعرف أنهم سيمنعونه، فجمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله ﷻ بذلك، فأطاعوه. وقالوا : كيف نصنع؟ فقال: ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني. ففعلوا، ثم أتوه. فضرب القداح فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فقامت إليه قريش تمنعه، فقالوا: ماذا تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أذبحه؛ فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه. لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا!

فقال عبد المطلب : فكيف أصنع بنذري؟ فأشاروا عليه أن يأتى عرافة فيستأمرها، فأتاها، فقالت لهم: كم الدية فيكم؟ قالوا : عشر من الإبل. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم، وقربوا

عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه ، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم.

فرجع عبد المطلب وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل، فوقعت القرعة على عبد الله ، فلم يزل يزيد من الإبل عشرًا عشرًا ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبدالمطلب، فقال عبدالمطلب : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات. فضربوا، فخرج القدح على الإبل فنحرت ثم تركت، لا يرد عنها إنسان ولا سبع.

(انظر: ابن هشام، السيرة،١٦٣-١٦٨؛ ابن سعد، ٨٣-٨٥؛ الحاكم، جـ٢، ٦٠٤/ ٤٠٣٦).

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذه الحادثة فقال: «**أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ**» يعني سيدنا إسماعيل عليه السلام وأباه عبد الله. (الحاكم، جـ ٢، ٦٠٤/ ٤٠٣٦)

وكان عبد الله والرسول ﷺ أجمل فتيان قريش خَلقا وخُلقا. وكان أرجحهم عقلاً وأخلاقًا.وقد زوجه عبد المطلب بآمنة بنت وهب سيد قبيلة بني زهرة وأفضلهن نسبًا وشرفًا.

ونسب السيدة آمنة بنت وهب أم الرسول الكريم ﷺ هو آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. والسيدة آمنة تشترك مع سيدنا عبد الله في جدهما كلاب، لأن زُهْرَة بن كلاب كان أخو قصي بن كلاب جد بني هاشم. (ابن سعد، جـ ١، ٥٩ - ٦٠)

وفاة عبد الله والد الرسول ﷺ

بعد زواجه بالسيدة آمنة بنت وهب بقليل خرج سيدنا عبد الله تاجرًا إلى الشام فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها ودفن بها. وكان له من العمر خمسة وعشرين عامًا.(ابن سعد، جـ ١، ٩٩)
وبعد أن علمت السيدة آمنة بوفاة زوجها بكت أمرَّ البكاءِ ورَثَته بأروع المراثي فقالت:

دَعَتْه المنايا دعوةً فأجابها ... وما تركتْ في الناس مثل ابن هاشم
فإن تك غالته المنايا ورَيْبُها ... فقد كان معْطاءاً كثير التراحم

الأحداث والأخبار التي بشرت بمقدم رسول الله ﷺ

قبل ميلاد رسولنا الكريم ظهرت إشارات إلهية كثيرة. وكانت الكائنات كلها تقريباً في شوق واشتياق إليه ﷺ.

والله تعالى قبل كل شيء قد أخذ العهد والميثاق على رسله أن يؤمنوا برسول الله ﷺ ويناصروه فقال في كتابه الكريم:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾

(آل عمران، ٨١)

وبعد أن أتم سيدنا إبراهيم مع ابنه سيدنا إسماعيل بناء الكعبة رافعا أيديهما إلى السماء ودعوا ربهما فقالا:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة، ١٢٩)

وبينما كان سيدنا عيسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل إلى الإيمان بشّرهم بنور الوجود محمد ﷺ فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف، ٦)

أما والدته السيدة آمنة فقد رأت في رؤية رأتها في أيام حملها الأولى وقيل لها فيها:

«إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه محمدًا». (ابن هشام، جـ١، ١٧٠)

ولهذا السبب عندما سُئِلَ رسول الله ﷺ ما بدء أمرك؟ قال ﷺ:

«دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ» (الحاكم، جـ١٢، ٤٥٣؛ أحمد، جـ٤، ١٢٧ - ١٢٨)

وكان اليهود الذين يعرفون صفات الرسول ﷺ كلها ينتظرون وقت قدومه وبعثته وعندما كان يحدث خلاف ونزاع بين اليهود وقبائل الأوس والخزرج التي كانت تعبد الأصنام في المدينة كان اليهود يتوعدونهم قائلين «إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم». (ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ٦٥ - ٩٦)

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه:

«أن يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هُزمت يهود خيبر. فعاذت اليهود بهذا الدعاء وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة، ٨٩) (القرطبي، جـ٢، ٢٧؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٣١)

وقد بُشر عبد المطلب جد الرسول ﷺ بشرى عظيمة بما سيكون حفيده في المستقبل: «فذات يوم خرج رسول الله ﷺ يلعب مع الصبيان حتى بلغ الردم، فرآه قوم من بني مُدْلِج فدعوه، فنظروا إلى قدميه وإلى أثره، ثم خرجوا في أثره فصادفوه قد لقيه عبد المطلب فاعتنقه، وقالوا لعبد المطلب ما هذا منك؟

قال: ابني، قالوا: احتفظ به، فإنا لم نر قدمًا أشبه بالقدم الذي بالمقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هذا؛ وكان أبو طالب يحتفظ به» (أبو نعيم، الدلائل، جـ ١، ١٦٥؛ ابن سعد، جـ ١، ١١٨)

وهكذا كلما اقترب تشريف نور الوجود ﷺ للدنيا كان كل شخص، بل حتى كل شيء ينتظره في اشتياق ولهفة عظيمة لكي يتخلص من ظلمات نفسه، ويستمد النور والعون من فيضه الكريم ﷺ وهكذا كانت الإنسانية كلها قد تزينت له وانتظرت بعثته ﷺ.

ميلاده الشريف والأحوال الخارقة للعادة التي حدثت في أثناء ميلاده

عندما حان الوقت تنزل النور المنتظر إلى عالم الشهود، وقبيل بزوغ شمس يوم الأحد الثاني عشر من ربيع الأول للعام الحادي والسبعين بعد المائة الخامسة من ميلاد المسيح تشرفت الدنيا وتشرف الزمان كل الزمان وتشرف المكان كل المكان بميلاد الحبيب محمد ﷺ. وامتلأ الكون فرحًا وصاح من أعماق القلوب: «مرحبا يا رسول الله».

وقد عبر الشاعر التركي سليمان چلبي عن فرحة الكون كله من أصغره إلى أكبره بمقدم رسول الرحمة ﷺ فقال:

مرحباً أيها السلطان المعظم مرحباً

مرحباً يا منبع العرفان مرحباً

مرحباً يا سر الفرقان مرحباً

مرحباً يا دواء الألم مرحباً

مرحباً يا رحمة العالمين مرحباً

مرحباً يا شفيع المذنبين مرحباً

ومع مقدم النبي ﷺ فاضت رحمة الله تعالى وزادت في هذا العالم. وتغيرت ألوان الصباح والمساء، وتعمقت المشاعر، وتواضعت الكلمات والأحاديث والملذات. واكتسب كل شيء معنى مختلفًا وجمالًا آخر. واهتزت الأصنام و سقطت، وتحطمت الأعمدة والشرفات في قصور مدائن كسرى، وغاضت بحيرة ساوة في ايران. وانطفأت نيران المجوس التي لم تنطفئ طوال ألف سنة، وبهذا التشريف العلوي اكتسى كل شيء بلون الورود. (ابن كثير، جـ ٢، ١٧٣).

إن تجليات الرحمة قد نثرت على الكون مثل حبات اللؤلؤ، وشعرت القلوب المشتاقة إلى النور بالسعادة والفرحة. وامتلأت القلوب بالبركة والصفاء وهذه البركة شملت الكون كله. وسمي عام ميلاده بعام الرخاء. ولهذا السبب فإن أصحاب القلوب الأتقياء الأصفياء يعتبرون الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ هي أعظم ليلة بعد ليلة القدر.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين، وانتصر في بدر يوم الاثنين، ونزلت آية «اليوم أكملت لكم دينكم» يوم الاثنين» (أحمد، المسند، جـ١، ٢١٨؛ الهيثمي، جـ١، ١٩٦)

وقد فرح أهل مكة كلهم بميلاد رسول الله ﷺ حتى أن أبا لهب اعتق جاريته ثويبة التي بشرته بميلاد ابن أخيه المبارك. ويحكي العباس رضي الله عنه بعد ذلك عن رؤية تتعلق بهذا الأمر فيقول:

«رأيت أخي أبا لهب بعد عام من وفاته وكان في حال سيئة فسألته : كيف عوملت؟ فأجاب أبو لهب: يُخفف عني العذاب قليلًا أيام الاثنين من كل أسبوع لأني أعتقت ثويبة فرحًا لميلاد محمد ﷺ، وفي تلك الأيام أتبرد بقليل من الماء يخرج من ثقب صغير كهذا وأمسك بالسبابة والإبهام معاً» (ابن كثير، البداية، القاهرة، ١٩٩٣م، ج٢، ٢٧٧؛ ابن سعد، جـ١، ١٠٨، ١٢٥).

أسماء رسولنا المصطفى ﷺ

كان لرسول الله ﷺ كثير من الأسماء المباركة. يأتي على رأس هذه الأسماء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم «محمد» و»أحمد». ومحمد تعني المستحق بالثناء كثيراً، أما أحمد فتعني الذي يحمد كثيرًا.

وقد ورد ذكر اسم محمد في القرآن الكريم أربع مرات، وذكر اسم أحمد مرة واحدة. أما في الإنجيل فقد ذكره ﷺ باسم «الفارقليط» وهي تأتي بنفس المعنى. وفي حديث شريف تحدث رسول الله ﷺ عن أسمائه فقال:

«...أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ» (مسلم، الفضائل، ١٢٥؛ البخاري، المناقب،١٧)

وقد ذكرت أسماء صفات رسول الله ﷺ المباركة في كثير جدًّا من الكتب. قد بين الكتاب المسمى «دلائل الخيرات» أن عدد تلك الأسماء والصفات قد بلغ المائتين.

واليوم فإن بعضًا من تلك الأسماء والصفات المبارك تزين جدار القبلة في «الروضة النبوية في المسجد النبوي الشريف بخطوط رائعة نفيسة ومن تلك الأسماء والصفات: **أحمد، محمود، محمد، مصطفى، النور، الحميد، البشير، النبي، النذير، الأمين، الخاتم، المختار، البرهان، حبيب الله، رسول الله، المجتبى، رحمة العالمين، سيد المرسلين، شفيع المذنبين، سيد الكونين، رسول الثقلين، إمام الحرمين، طه، يس** (صلوات ربي وتسلياته عليه).

أمهاته في الرضاعة

لقد فتح نور الكون عيناه على الدين وهو يتيم. وقد عبرت الآية الكريمة عن تلك الحال فقالت:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ (الضحى، ٦)

وعندما ولد فخر الكائنات ﷺ أرضعت أمه السيدة آمنة في أيامه الأولى. ثم بعد ذلك أرضعته السيدة ثويبة مع ابن لها يسمى مُسْرُوح. وصارت له أمًّا بالرضاعة (ابن سعد، جـ١، ١٠٨)

وكان رسول الله ﷺ يظهر تعلقًا وحنانًا دائماً لِثويبة في الفترات التي تلت ذلك فعندما كان في مكة كان يحسن إليها ويكرمها هو والسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها. وعندما هاجر إلى المدينة كان يرسل إليها دائما ما تحتاج من طعام وشراب ويوفر لها كل ما تحتاجه (ابن سعد، جـ١، ١٠٨، ١٠٩)

وكانت تلك المعاملة التي يبديها الرسول ﷺ للسيدة ثويبة نموذجًا للوفاء والعرفان بالجميل لا يدانيه أحد.

ثم نالت السيدة حليمة السعدية هذا الشرف من بعدها وصارت أمًّا لرسول الله ﷺ بالرضاعة.

وفي ذلك العهد كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم وقاية لهم من أمراض الحواضر، ولتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم ويتقنوا هناك اللسان العربي في مهدهم لأن العرب في البادية كانوا أروع بياناً وأصح لسانًا.

وبسبب تلك العادة أُعطي ذلك الرضيع المبارك لأم ترضعه، وكانت السيدة حليمة السعدية من قبيلة بني سعد هي المرأة سعيدة الحظ التي نالت هذا الشرف، لأن قبيلة بني سعد كانت أفصح قبائل العرب لسانًا. ولهذا السبب أصبح رسول الله ﷺ أفصح العالمين، وخير من نطق الضاد إلى يوم القيامة. وهكذا تم إعداد رسول الله ﷺ منذ طفولته لبيان كلام الله تعالى وتبليغ دعوته.

وتحكي السيدة حليمة السعدية بنت الحارث عن بركته ﷺ عندما أخذته رضيعًا في بني سعد فتقول:

خرجت من بلدي مع زوجي وابن لي صغير أرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا. فخرجت على أتان لى قمراء، ومعنا شارف لنا(ناقة عجوز)، والله ما تَبِضّ بُقطرة، وما نام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديى ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أَذَمَّتْ بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفًا وعجفًا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من والد الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا غيري.

فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله، إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره. فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة. فقال صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة. فقلت: والله إني لأرجو ذلك. ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أَرْبِعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله ، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنًا.

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير» حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا. فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها حتى ردته معنا».

وتكمل السيدة حليمة السعدية قصتها فتقول:

وبينما كان محمد بيننا إذ خرج ذات يوم يرعى الغنم مع أخته الشيماء في يوم شديد الحر. فلما عادت الشيماء قلت لها: لِمَ خرجت مع أخيك في القيظ الشديد؟. فقالت الشيماء تخبر أمها عن اللطف الإلهي الذي كان يحيط برسول الله ﷺ: «والله ما شعرنا بحر الشمس فما سرنا إلا وكانت معنا غمامة تظلل أخي إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت» (ابن كثير، البداية، جـ ٢، ٢٧٨، ٢٧٩ ؛ ابن سعد، جـ ١، ١١٢).

فلما أتمت السيدة حليمة مهمتها قدمت به إلى مكة وهو ابن خمس سنين لترد الأمانة إلى أهلها فجهزها عبد المطلب بأحسن جهاز وصرفها تقول: فانصرفت إلى منزلي وأنا بكل خير دنيا، لا أحسن وصف كنه ذلك الخير، وصار محمد عند جده. وحدَّث عبد المطلب بحديثه كله، فضمه إلى صدره وبكى، وقال: يا حليمة، إن لابني شأنًا، وددت أني أدرك ذلك الزمان. (البيهقي، دلائل النبوة، جـ ١، ١٤٥)

وظل رسول الله ﷺ طوال عمره وفيًّا لأقاربه في الرضاعة. فكان عندما يرى السيدة حليمة السعدية يقول: «أمي، أمي،» ويظهر لها المحبة والاحترام من أعماق قلبه وكان يبسط رداءه وعباءته ويجلسها عليها. وكلما بدت له رغبة كان يحققها على الفور. (ابن سعد، جـ١، ١١٣، ١١٤).

وذات يوم ذهبت السيدة حليمة لترى رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ قد تزوج بالسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، فنزلت في ضيافة السيدة خديجة وأكرمتها بشكل جميل، وعندما حدثتها عن هلاك مواشيها بسبب الجفاف والقحط الذي نزل بقبيلتها. فتحدث رسول الله مع السيدة خديجة: وأهدت لها السيدة خديجة أم المؤمنين جملا لتحمل عليه أمتعتها وأربعين شاة. (ابن سعد، جـ١، ١١٤).

حادثة شق صدر رسول الله ﷺ

لقد حدثت أول حادثة لشق صدر رسول الله ﷺ عندما كان عند السيدة حليمة أمه في الرضاعة وذلك لكي يدرك جيدًا الحقائق الإلهية ويتم تطهيره معنوياً استعداداً وتجهيزًا لتلقي الوحي الإلهي وقد حكى رسول الله ﷺ تلك الحادثة بنفسه فقال:

«كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت يا أخي إذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم، فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني إلى القفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين.

فقال: أحدهما لصاحبه إيتني بماء ثلج فغسلا به جوفي،

ثم قال: إيتني بماء برد فغسلا به قلبي،

ثم قال: إيتني بالسكينة فذراها في قلبي،

ثم قال: أحدهما لصاحبه حصه فحصه، واختم عليه بخاتم النبوة.

فقال: أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر عليَّ بعضهم.

فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم. ثم انطلقا وتركاني وفرقت فرقاً شديداً ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيته.(أحمد، المسند، جـ٤، ١٨٤-١٨٥؛ ابن كثير، البداية، جـ٢، ٢٨٠).

وقال أنس رضي الله عنه: «كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره» (مسلم، الإيمان،٢٦١).

السفر إلى المدينة ووفاة والدته

بينما كان نور الوجود ﷺ في السادسة من عمره أخذته أمه السيدة آمنه مع جارية والده أم أيمن وسافرت إلى المدينة لزيارة قبر والده عبد الله، ومكثت السيدة آمنه عند أخوال الرسول ﷺ شهراً.

وكان رسول الله ﷺ يلعب مع أولاد أخواله في المدينة حتى أنه تعلم السباحة هناك. (ابن سعد، جـ١، ص ١١٦). وقد تحدث فخر الكائنات ﷺ عن ذكرياته في تلك الأيام فقال:

«نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفُ إِلَيَّ يَنْظُرُ إِلَيَّ ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنِّي فَلَقِيَنِي يَوْمًا خَالِيًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: أَحْمَدُ وَنَظَرَ إِلَى ظَهْرِي فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: هَذَا نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ ثُمَّ رَاحَ إِلَى أَخْوَالِي فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ فَأَخْبَرُوا أُمِّي فَخَافَتْ عَلَيَّ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ...» (أبو نعيم، الدلائل، جـ١، ١٦٣ - ١٦٤)

وبينما كانت السيدة آمنه عائدة من المدينة مرضت في الطريق وتوفيت في مكان يسمى الأبْوَاء بين مكة والمدينة، ودفنت هناك وكانت في الثلاثين من عمرها. وقبل أن تموت نظرت إلى صغيرها اليتيم طويلا بعيون ملؤها المحبة والشفقة وضمته إلى صدرها وقالت لصغيرها المبارك تلك الكلمات:

بارك فيك الله من غلام يا ابن الذي مـن حومة الحمام
نجـا بعون الملك العلام فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من أبل سوام إن صح ما أبصرت فـي المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والاكرام
تبعث في الحل والحرام تبعث في التحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام فالله انهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

(الديار بكرى، جـ١، ٢٢١ - ٢٣٠).

وقد أدرك الشاعر هذه الحقيقة فخاطب السيدة آمنة قائلا:

أيتها الراقدة في الأبواء
لقد تفتحت في حديقتك أجمل ورود الدنيا.

وهكذا عاد نور الوجود إلى مكة مع أم أيمن يتيم الأم. لذا كان رسول الله ﷺ طوال حياته يزور مربيته أم أيمن التي أحسنت إليه ويخاطبها قائلاً: «**يا أم!**» وكان يكرمها مظهرًا لها الإحترام والمحبة فيقول لها: «**أنت أمي بعد أمي...**» ! (ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٧، ٣٠٣ - ٣٠٤؛ ابن سعد، جـ٨، ١٢٣).

في حماية جده عبد المطلب

إن الله تعالى لم يترك رسوله الحبيب الذي فقد أباه وأمه بلا حماية ورعاية. فقد احتضنه جده عبد المطلب. وأظهر له شفقة ومحبة لم يظهرها لأي أحد من أولاده. فلم يكن أحد يدخل على عبد المطلب وهو نائم أو عندما يختلي بنفسه أو يجلس معه على البساط التي كان يجلس عليها. ولكن شمس العالمين ﷺ لم يكن يترك جده أبدًا. وكان يدخل ويخرج على جده بحرية عندما كان يختلي بنفسه أو حتى في الأوقات التي ينام فيها (ابن سعد، جـ ١، ١١٨).

وكان فخر الكائنات رسول الله ﷺ عندما يأتي يجلس على فراش جده بحرية. وذات يوم أراد أعمامه أن يمنعوه من الجلوس فقال لهم عبد المطلب:

«دعوا ابني فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع» (ابن هشام، جـ ١، ١٨٠).

ولم يكن عبد المطلب يتناول طعامه ما لم يجلس حفيده الصغير سيد العالمين معه. وكان يقول: أحضروا لي ابني (ابن سعد، جـ ١، ١١٨).

وعندما يحضر الطعام كان يجلس إلى جواره ويجثو على ركبته وينتقي أطيب الطعام وألذه فيطعمه لحفيده (البلاذرى، جـ ١، ٨١).

وبينما كان رسول الله ﷺ في الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب. والواقع أن حرمان الرسول الكريم ﷺ من شتى أنواع الدعم البشري الذي يحتاج إليها المرء في أضعف لحظات حياته كان سببه أن يصبح رسول الله ﷺ نموذجًا متفردًا في كل تصرفاته وأحواله كلها ليكون منبعًا للعزاء والسلوى في شتى أنواع المصائب والبلايا.

وتوجد طائفة من الحكم من حرمان رسول الله ﷺ من الأم والأب، وأهم هذه الحكم هو عدم إعطاء الفرصة للادعاءات التي يمكن أن تذكر من قبيل أن رسول الله ﷺ قد تعلم الأسس الأولى التي تتناول الرسالة والدعوة من أبيه وجده. فضلاً عن ذلك فإن بقاء رسول الله ﷺ بعيدًا عن أبيه وأمه وجده قد حفظ الرسول عن الأعراف والعادات الجاهلية التي تُنقل من الأب إلى الابن، وقد تربى على عين ربه تمامًا دون أن يبقى تحت تأثير أي شخص كان. وفي هذه يقول رسول الله ﷺ في حديثه الشريف:

«**أدبني ربي فأحسن تأديبي**» (السيوطي، جـ ١، ١٢)

ومن ناحية أخرى فإن رسول الله ﷺ بينما كان بعيدًا عن تربية الأب والأم فإن تربيته وإعداده وفق خُلق علوي قد قوّى دلائل نبوته ﷺ.

وهناك حكمة قلبية رقيقة في نموه ونشأته يتيماً تكمن في نضج قوام التواصل على الله تعالى وحده دون سواه. ولأن رسول الله ﷺ قد ذاق مرارة اليتم والضعف بكل شدتها فإنه طوال حياته كان حاميًا وحارسًا لشتى البشر الضعفاء.

وقد تحدث رسول الله ﷺ في حديثه عن ثواب رعاية اليتيم فقال:

«أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى (مسلم، الزهد، ٤٢؛ البخاري، الأدب، ٢٤؛ الطلاق، ١٤).

وقد أراد الله تعالى للرسول ﷺ أن يبدأ حياته من اليتم الذي هو أضعف أحوال الإنسان وذلك حتى يكون هو نفسه نموذجًا للبشر في شتى مراحل حياتهم، ويرقيه حتى رئاسة الدولة مرورًا بالمراتب والمراحل المتنوعة.

في حماية عمه أبي طالب

عندما شعر عبد المطلب جد الرسول ﷺ بدنو أجله جمع أولاده كلهم حوله. وأوصاهم برعاية حفيده المتفرد رعاية بالغة. واقترعوا بين الزبير وأبي طالب فيمن يتولى مهمة رعاية ابن أخيهم المبارك ذلك أنهما كانا أشقاء لعبد الله والد رسولنا فخر الكائنات ﷺ.

وكان أبو طالب أكثر أعمام الرسول ﷺ شفقة عليه وأرحمهم به. (ابن الأثير، أسد الغابة، جـ١، ٢٢)، ولم يكن لأبي طالب من مال وثروة سوى عدد من الإبل. أما أفراد العائلة فكانوا أكثر ثراء وغنى.

ورغم هذا الفقر إلا أن أبا طالب كان من أهل الرأي والمشورة المعتبرين في قريش، وكان مسموع الكلمة بينهم لا يعارضونه أو يعصونه فيما يقول.

وكان أبو طالب لا يشرب الخمر أبدًا مثل أبيه عبد المطلب (الحلبي، جـ١، ١٨٤)

وكان أبو طالب شديد الحب والتعلق بابن أخيه المبارك، وكان يحبه أكثر من أولاده. ولم يكن ينام ما لم يكن سيد العالمين ﷺ بجانبه، وأينما ذهب إلى أي مكان كان يحمل ابن أخيه معه.

وكانت السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم زوجة عمه امرأة فاضلة وذات قلب رحيم إلى أقصى درجة. وكان رسولنا فخر الكائنات ﷺ يزور تلك السيدة الفاضلة التي دخلت الإسلام وهاجرت إلى المدينة كثيرًا ليطمئن عليها. وأحيانا كان يذهب إلى بيتها وينام هناك نوم القيلولة. (ابن سعد، جـ٨، ٢٢٢)

وعندما توفيت السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم ﵂ دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال:

«رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وتُشْبِعِينِي، وتَعْرَيْنَ وتَكْسُونَنِي، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطَّعَامِ وتُطْعِمِينِي، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ».

ثم أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه.

ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده. فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال:

«اللهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، ولَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» وكبر عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق ﵁. (انظر: الحاكم، جـ٣، ١١٦، ١١٧؛ الهيثمي، جـ٩، ٢٥٦ – ٢٥٧؛ اليعقوبي، جـ٢، ١٤).

شباب رسول الله ﷺ

نشأة رسول الله ﷺ في كنف الله تعالى ورعايته

لقد حفظ الله تعالى رسوله ﷺ من جميع رذائل العهد الجاهلي وذلك لأنه سبحانه سيشرفه بحمل دعوته ورسالته. ورغم أن رسول الله ﷺ قد قضى فترة طفولته وشبابه يتيماً عائلا إلا أنه لم يُتْرك محرومًا من الخصوصيات والتجهيزات التي تتطلبها تلك الوظيفة الشريفة التي سيحملها في المستقبل.

وقبل أن يتشرف رسول الله ﷺ بالرسالة كان أعلى القوم شأنًا وأحسنهم خلقاً وأفضلهم حسبًا، وأكثرهم رعاية لحق الجوار، وأبعدهم عن إلحاق الأذى والسوء بالآخرين. ولم يكن يحقد على أحد أبدًا، أو يعيب أحدًا، ولم يُرَ أبدًا يجادل أحدًا، ولهذا لقبه قومه بالأمين.

وذات يوم سُئل رسول الله ﷺ: هل عبدت غير الله؟

قال: لا،

قيل فهل شربت خمرًا قط؟،

قال لا، ثم مازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان.(الديار بكرى، جـ١، ٢٥٤ - ٢٥٥)

وقبل بعثته الشريفة كان رسولنا فخر الكائنات ﷺ يحمل الحجارة مع عمه العباس عند بناء الكعبة فقال له عمه:

«اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ. فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ:أَرِنِي إِزَارِي فَشَدَّهُ عَلَيْهِ» (البخاري، الحج، ٤٢)

ورغم أن السير بدون إزار كان أمرًا طبيعيًّا للغاية في الجاهلية في ذلك العهد؛ إلا أن رسول الله ﷺ لم يستطع أن يعوض أي يفعل أمرًا يتجاوز حدود الحياء في أي وقت، لذا فعندما مال إلى القيام بأمر كهذا بتشويق ودفع من عمه، فإن الله تعالى حفظه وحرسه ومنعه من القيام بهذا الأمر بحسب ما ذكر في الحديث.

وروى عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله ﷻ فيهما، الأولى كانت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم أهلها. فقلت:

لصاحبي أتبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال: بلى! قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير. فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس. فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذي رأيت.

ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى اسمر ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فسألت فقيل نكح فلان فلانة فجلست أنظر وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس. فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء ثم أخبرته الخبر. فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله ﷻ بنبوته» (ابن اسحاق، ٥٨-٥٩؛ ابن كثير، جـ ٢، ٢٩٢).

رسولنا الكريم يرعى الغنم

لقد اشتغل نور الوجود برعْي الأغنام لمدة قبل أن يشتغل بالتجارة وكان ذلك عندما كان يعيش في كنف عمه أبي طالب. وفي تلك الفتَرة لم تكن حرفة الرعي بين العرب حرفة بسيطة عادية؛ بل كانت مهنة يشتغل بها أطفال العائلات المرموقة والثرية. فضلا عن ذلك فإن الرعي كان حرفة جميع الرسل تقريبًا.

والواقع أن توظيف الله تعالى لرسله في حرفة الرعي قبل أن يكلفهم بتبليغ دعوته يكسبهم مجموعة من الأمور والخصائص اللازمة للإدارة.

وذات يوم قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

«مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»

فقال أصحابه: وأنت؟،

فقال ﷺ:

«نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» (البخاري، الإمارة، ٢ ، الأنبياء، ٢٩؛ ابن ماجة، التجارة، ٥).

والذي يعمل بالرعي يزيد له إحساس الرحمة ويتمتع بالوقار والسكينة والتفكر وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى هذا الأمر فقال:

«السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ...» (البخاري، المناقب،١؛ مسلم، الإيمان، ٨٤ / ٥٢).

وهكذا فإن رعاية قطعان الأغنام وحمايتها من الحيوانات المفترسة ينمي لدى الإنسان مشاعر الصبر والمراقبة. وأي إنسان يصبر على شتى أحوال الحيوانات، ويحافظ عليها، ويحميها يسهل عليه أن يكون رحيماً في علاقاته مع البشر، صابرًا على تصرفاتهم وأحوالهم الفجة المزعجة، وهذا الأمر هو أكثر ما يحتاجه الرسل عندما يبلّغون دين الله ﷻ.

رحلاته مع أعمامه

عندما بلغ رسول الله ﷺ الثانية عشرة من عمره أراد ان يسافر مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام رغم حداثة سنه. وكانت قريش قد جهزت عيرًا بتجارات وأموال عظام، وأجمع أبو طالب أن يسير في تلك العير. فلما تهيأ أبو طالب للسفر انتظر رسول الله ﷺ أن يأخذه معه، فَرَقَّ له قلب أبي طالب وقال له: أتخرج معي؟ قال نعم. فعرض أبو طالب الأمر على أعمام النبي ﷺ وعماته، فعارضوا سفر ابن أخيهم الحبيب، وقالوا لأبي طالب: مثل هذا الغلام لا يُخرج به، تُعرِّضه للأمراض والأوباء، فهم أبو طالب بتخليفه، فرآه يبكي،

قال ما لك يا ابن أخي؟ لعل بكاءك من أجل أني أريد أن أخلِّفك؟

فقال رسول الله ﷺ : نعم.

فتأثر أبو طالب بشدة وقال له: فإني لا أفارقك أبدا فاخرج معي فخرج.(أبو نعيم: الدلائل، جـ ١، ص ١٦٨)

وقد خرج رسول الله ﷺ إلى اليمن مع عمه الزبير وهو في الثانية عشرة من عمره، فذكر عمه أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة منها أن فحلاً جموحًا من الإبل كان قد قطع بعض الطريق في واد لابد أن يمرون منه، ولم يكن من سبيل لعمل شيء حتى أن الزبير أراد أن يعود بالقافلة.

ولكن رسول الله ﷺ ثبت وهو طفل شاب، فلما رآه الجمل برك على الأرض، وأناخ ومد رأسه، وألقى جرانه، وأخذ يفرك جسمه على الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ وركبه (ابن كثير: البداية، جـ ٢، ص ٢٨٢)

مقابلته لبحيرا الراهب

خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام فنزل الركب بُصرى من أرض الشام، كان بها راهب نصراني يقال له بحيرى الراهب يعيش دائمًا في صومعة له فلا يغادرها أبدًا. وكانت قوافل قريش تمر به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام. ذلك أنه رأى القافلة وغمامة تظللها، فلما أقبل القوم نزلوا في ظل شجرة قريبًا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها.

فلما رأى بحيرى ذلك نزل من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيرًا، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم. فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟.

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم، لحداثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة؛ فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي؛ قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا، فتخلف في رحالهم؛ فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. فقام رجل منهم فاحتضن رسول الله ﷺ وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وكان يشبه الغضروف. فلما فرغ أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال:

هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له شيوخٌ مِن قريش: ما أعلمك؟ قال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا ولا يسجد إلا لنبي.

ثم أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً؛ قال : فإنه ابن أخي؛ قال : فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به؛ قال : صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبلغنه شرًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. فاستمع أبو طالب إلى نصحية الراهب وحمل ابن أخيه وأسرع عائدًا به إلى مكة المكرمة.(ابن إسحاق، ص ٥٤، ٥٥؛ ابن سعد، جـ١، ١٥٣ - ١٥٥؛ الترمذي، المناقب، ص ٣)

حلف الفضول

يعني حلف الفضول حلف الفضائل؛ ذلك أنه قبل الإسلام كانت الحروب والمعارك لا تنقطع وتستمر لشهور عديدة بين قبائل العرب، ولكن تلك القبائل كانت تكف عن القتال خلال الأشهر الحرم وهي ذي القعدة، وذي الحجة، ومحرم ورجب لأنهم كانوا يقدسون هذه الأشهر ويعظمونها. ورغم ذلك فقد حدثت عدة حروب في الأشهر الحرم. وقد سميت هذه الحروب بين العرب بـ «حروب الفجار»، واندلعت حروب الفجار أربع مرات في التاريخ.

وقد اشترك رسول الله ﷺ في حرب الفجار الرابعة التي وقعت بين قبيلة هوازن وقبيلتي قريش وكنانة. وكان رسول الله ﷺ يقف مع الحق وحده، ومع المظلومين، وأصحاب الحقوق في كل لحظة من لحظات حياته. وقد شهد رسول الله ﷺ بعض أيام تلك الحرب حين أخرجه أعمامه معهم. وقال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ أَنْبُلُ عَلَى أَعْمَامِي**»

أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. أي أن رسول الله ﷺ لم يهرق دم أحدٍ من الناس بل كان يدافع عن أعمامه. (ابن هشام، جـ ١، ص ١٩٨؛ ابن سعد، جـ ١، ١٢٦ - ١٢٨).

وكان حلف الفضول قد تكون قبل البعثة بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر. وكان سببه أن رجلاً من قبيلة زبيد في اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزومًا وجمحًا وسهمًا وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه أي انتهروه. فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته   ببطن مكة نائي الدار والنفر

فقام الزبير بن عبدالمطلب وقال: "ما لهذا متروك؟!".

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبدالله بن جدعان فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة، وما رسى جبلٌ يثيراً وحراءً مكانهما. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، وبعد ذلك هرعوا لنجدة كثير من المظلومين والضعفاء في مكة وصرفوا جهدهم في نشر العدل والانصاف بين الناس (ابن كثير، البداية، جـ ٢، ص ١٩٥ - ٢٩٦).

وكان حلف الفضول هو الحلف الوحيد الذي اشترك فيه رسول الله ﷺ في عهد الجاهلية قبل البعثة ذلك أن هذا الحلف كان يسعى لإنصاف المظلومين والضعفاء وتأسيس العدالة. ولهذا تحدث رسول الله ﷺ عن هذا الحلف بعد بعثته الشريفة فقال:

«شهِدتُ حِلْف المُطيَّبين، وَأَنَا غُلامٌ مَعَ عُمُومتي، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَم وَأَنَا أنكثُه» وقال:

«مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَلَا حِلْفٍ فِي الْإِسْلَامِ» (ابن كثير، البداية، جـ ٢، ص ٢٩٥)

حياة التجارة

كان الشباب في مكة يشتغلون بالتجارة. فكانوا يبيعون البضائع التي جلبوها بقوافل التجارة من البلدان المجاورة في الأسواق التي تقام في مكة، وكانوا ينقلون البضائع التي تنتج في مكة يبيعونها في تلك البلدان.

وكان رسول الله ﷺ في شبابه يشترك مع أعمامه في قوافل التجارة ويسافر إلى الشام واليمن.

وذات يوم قال أبو طالب لابن أخيه الحبيب:

«يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا وألحّت علينا سنون متكررة، ليس لنا مارة ولا تجارة، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عير لها فيتجرون لها ويصبون منافع، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضّلتك على غيرك لما يبلغها من طهارتك، وإني كنت لأكره أن تأتي الشام، وأخاف عليك من اليهود، ولكن لا نجد من ذلك بدًّا» (أبو نعيم، الدلائل، جـ ١، ص ١٧٢).

ولما بلغ هذا الحديث الذي دار بين نور الوجود ﷺ وعمه إلى السيدة خديجة، وقبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه قالت:

«ما دَرَيْتُ أنه يريد هذا».

ثم أرسلت إليه فقالت:

«إنه قد دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من حديثك، وعِظَم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك»، ففعل رسول الله ﷺ.(ابن هشام، جـ ١، ٢٠٣؛ ابن سعد، جـ ١، ص ١٢٩؛ ابن كثير، البداية، جـ ٢، ٢٩٧)

وفي السنوات التي تلت تلك اشترك رسول الله ﷺ في رحلات تجارية مختلفة باسم السيدة خديجة وحقق مكسبًا واسعًا من تلك الرحلات. (انظر: الحاكم، جـ٣، ٢٠٠ / ٤٨٣٤)

وكان رسول الله ﷺ يشعر بالإمتنان من هذا الكسب والتجارة التي قام بها مع السيدة خديجة وقال عن ذلك:

«**مَا رَأَيْتُ مِنْ صَاحِبَةِ أَجِيرٍ خَيْرًا مِنْ خَدِيجَةَ**» (عبد الرزاق، مصنف، جـ ١، ٢٢٠)

وظل سلطان الأنبياء طوال حياته يتصرف بأمانة وصدق إلى أقصى درجة في علاقاته التجارية مع جميع البشر.

وعندما كان يعد أحدًا كان يفي بعهده مهما كلفه الثمن وقد تحدث ابن عباس رضي الله عنهما عن هذا الأمر باعتباره واحدًا من أعرف الناس بحياة الرسول ﷺ فقال:

«كان رسول الله ﷺ إذا وعد أوفى» (البخاري، الشهادة، ٢٨)

وقد حكى عبد الله بن أبي الحمساء واحدة من الحوادث الكثيرة جدًا التي كانت سببًا في تلقيبه ﷺ بالصادق الأمين فقال: بايعت رسول الله – قبل أن يبعث– ببيع فبقي له علي شيء فواعدته أن آتيه فى مكانه بذلك. فنسيت يومى ذلك ومن الغد فأتيته يوم الثالث فوجدته فى مكانه، فقال:

«**يَا فتَى، لقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ**» (أبو داود، الأدب، ٨٢/ ٤٩٩٦)

ولو أراد الله تعالى لجعل نبيه وحبيبه يعيش حياة مريحة منذ طفولته دون أن يبذل أي عناء أو يسعى خلف رزقه. ولكن الحق ﷻ جعل رسوله نموذجًا لأمته في السعي على رزقه والعمل بيده لاكتساب رزقه. وعن هذا تحدث رسول الله ﷺ فقال:

«**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ...**» (البخاري، البيوع، ١٥؛ الأنبياء، ٣٧)

زواج رسولنا ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها

اشترك ميسرة عبد السيدة خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ في قوافل التجارة، ولما عاد قص على سيدته الأحداث الخارقة للعادة التي شاهدها مع رسول الله ﷺ أثناء رحلته، وحكى لسيدته على شخصية الرسول الكريم ﷺ وأمانته وصدقه وجمال أخلاقه. وتحكي السيدة نفيسة بنت أمية صديقة السيدة خديجة رضي الله عنهما عن بداية أمر التفكير في زواج السيدة خديجة برسول الله ﷺ وكيف تطور الأمر فتقول:

«أرسلتني دسيسا إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟

قال: **مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ.**

قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والكفاءة ألا تجيب؟

قال: **فَمَنْ هِيَ؟**

قلت: خديجة.

قال: **وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟**

قلت: عَليَّ.

قال: **فَأَنَا أَفْعَلُ.**

فذهبت، فأخبرتها...» (ابن سعد، جـ ١، ١٣١)

وعقب هذه البشرى أرسلت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ تعرض عليه الزواج فذهب فخر الكائنات إلى عمه أبي طالب يعلمه الخبر. وعلى ذلك ذهب أبو طالب إلى عمرو بن أسد عم السيدة خديجة يطلب مصاهرته وخطبة السيدة خديجة. وخطب أبو طالب وورقة بن نوفل ابن عم السيدة خطبة النكاح. ثم قام عمرو بن أسد فقال: «اشهدوا عليّ يا معشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد». (الدياربكرى، جـ ١، ٢٦٤؛ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٢٠)

وكان نور الوجود ﷺ قد بلغ عند زواجه الخامسة والعشرين من عمره. وكانت زوجته السيدة خديجة ﵂ أكبر منه بخمس عشرة سنة وكانت أرملة لها أطفال.

وقد أصبحت تلك السيدة الجليلة الكريمة منذ اللحظة الأولى مصدرًا جديدًا لدعم الرسول ﷺ بمالها وروحها. وكانت السيدة خديجة ﵂ بسبب أخلاقها ونسبها إلى قبيلة شريفة تسمى قبل الإسلام بـ «العفيفة» و«الطاهرة». أما بعد الإسلام فقد لقبت بـ «خديجة الكبرى» (ابن سعد، جـ٨، ص ١٤ - ١٥)

وقد قال عنها نور الوجود ﷺ:

«خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ (يقصد الآخرة)**، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ** (يقصد الدنيا)**»**

(البخاري، مناقب الأنصار، ٢٠؛ مسلم، فضل الصحابة، ٦٩)

ويتبين لنا من زواج رسول الله ﷺ هذا أنه لم يكن شخصًا شهوانيًّا يميل إلى شهوات النفس، أو أنه حتى يلتفت إلى تلك الرغبات. لأنه لو كان كذلك ﷺ لما تزوج بسيدة أرملة تكبره بخمس عشرة سنة؛ بل كان يجب عليه أن يتزوج بسيدة أكثر شبابًا. ولكنه ﷺ كان يبحث فيمن يتزوجها عن الشرف والفضائل وجمال الأخلاق، ولم يكن يبحث في المرأة عن الصفات الزائلة المؤقتة كالشباب والجمال.

تبني رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة

بينما كان زيد بن حارثة﵁ في سن الثامنة خطفه فرسان بني قيان، وأحضروه إلى سوق عكاظ ليباع في سوق العبيد. فاشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة ﵂ بأربعمائة درهم. فلما رآه رسول الله ﷺ عندها استوهبه منها فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ على الفور. (ابن هشام، جـ١، ٢٦٦؛ ابن سعد، جـ٣، ٤٠)

ورغم أن رسول الله ﷺ أعتقه؛ إلا أنه فضل البقاء بجواره لما رأى منه من طيب المعاملة ولم يتركه أبدًا. وكان حارثه بن شرحبيل والد زيد قد حزن على فقده حزنًا شديدًا. وخرج يبحث عنه، وعندما أخبره أحد الذاهبين لزيارة الكعبة أن زيدًا في مكة ذهب على الفور مع أخيه إلى مكة. وسأل عن محمد بن عبد الله حتى وجده. وعرض عليه أن يدفع له نقودًا ليستعيد زيدًا، ورجاه أن ينصف في الطلب.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **فَهَلْ لِغَيْرِ ذَلِكَ؟**

قالوا: وما هو؟

قال ﷺ: **دَعُوهُ فَخَيِّرُوهُ، فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمَا بِغَيْرِ فِدَاءٍ، وَإِنِ اخْتَارَنِي فَوَاللهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي أَحَدًا.**

قالا: زدتنا على النصف وأحسنت.

فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: **هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ؟**

قال: نعم، قال ﷺ: مَنْ هُما؟

قال: هذا أبي، وهذا عمي

فقال له ﷺ: **فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ، فَاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا،**

فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم.

فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟

قال نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبداً.

فلما رأى رسول الله ﷺ منه ما رأى أخرجه إلى الحجر عند الكعبة، فقال:

يَا مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي أَرِثُهُ وَيَرِثُنِي[١]

فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا». (ابن هشام، جـ ١، ٢٦٧؛ ابن سعد، جـ ٣، ٤٢)

كفالة الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

كان أبو طالب أكثر أفراد عائلته عيالا وأقلهم ثراءاً، ولهذا السبب كان يعيش في ضيق مادي، لذا فقد ذهب رسول الله ﷺ إلى عمه العباس رضي الله عنه فقال له:

«إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ، فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا، فَنَكِلُهُمَا عَنْهُ»،

فجاءا إليه وقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه،

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه وتركا له عقيلاً وطالباً، فلم يزل عليّ مع رسول الله. (ابن هشام، جـ ١، ٢٦٤)

أولاد الرسول ﷺ

لقد رزق رسول الله ﷺ من زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها بالقاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان القاسم أول من رزق من البنين ولهذا كانت كنية رسولنا الكريم ﷺ هي: «**أبو القاسم**».

١ وبعد ذلك اليوم صار زيد يُعرف بين الناس بزيد بن محمد. واستمر هذا الحال حتى تم إلغاء التبني في الآية الرابعة والخامسة من سورة الأحزاب

وقد توفي القاسم وهو في الثانية من عمره. وبعد وفاة عبد الله ابن الرسول ﷺ كان العاص بن وائل أحد صناديد الكفر في قريش يقول للمشركين من حوله:

«دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه»، فأنزل الله تعالى في ذلك سورة الكوثر[1] التي تقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (ابن سعد، جـ ٣، ٧؛ الواحدي، ص ٤٩٤).

وكان لرسول الله أربع بنات أكبرهن السيدة زينب، وعندما ولدت كان رسول الله ﷺ في الثلاثين من عمره. وبعد ذلك عندما بلغ الثالثة والثلاثين ولدت له رقية. (الدياربكرى، جـ ١، ص ٢٧٣ – ٢٧٤)

وبعد رقية ولدت أم كلثوم، وبعدها ولدت السيدة فاطمة وكان رسول الله ﷺ عندها قد بلغ الخامسة والثلاثين. (ابن سعد، جـ ٨، ١٩ – ٢٦)

التحكيم في الكعبة

عندما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والثلاثين من عمره الشريف حدث سيل في مكة وتصدعت جدران الكعبة المشرفة، فاجتمعت قبائل قريش لتعمير الكعبة. وقرر المجتمعون هدم الكعبة وإعادة بنيان الكعبة من جديد.

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها، وأخذوا آلات البناء من الرخام والخشب والحديد التي كانت تحمله تلك السفينة فاستعملوه في بناء الكعبة. ثم جزأت قريش الكعبة وجعلت لكل قبيلة منها نصيبا في أعمال هدم الكعبة وبنائِها.

وقبل أن يشرع القريشيون في هدم الكعبة المشرفة وإعادة بنائِها من جديد نهض أبو وهب بن عمرو وقال:

«يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبًا، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس» (ابن هشام، جـ ٢، ٢١٠؛ ابن كثير، البداية، جـ ٢، ٣٥)

وكان تعظيم الكعبة وتقديسها قد بقي عند العرب من شريعة إبراهيم عليه السلام. وقد خشيت القبائل التي تولت أمر إنشاء الكعبة أن يصيبها العذاب بسبب هدمها الكعبة ولهذا السبب هاب الناس هدمها وفرقوا منه.

---

١ الكوثر هي الكثرة في كل شيء والسعة في كل شيء. والكوثر بحسب الروايات هي الحوض الذي تجتمع عليه أمة النبي ﷺ يوم القيامة (البخاري، التفسير، ١٠٨).

فقال الوليد بن المغيرة أحد كبراء قريش: أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة،

وقالوا : ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء، فقد رضي الله صنعنا فهدمنا. فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس- أساس إبراهيم عليه السلام - أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضًا. (عبد الرزاق، جـ ٥، ٣١٩)

وقد رفع القريشيون جدران الكعبة عن طريق ربط الأحجار بالأخشاب، واشترك نور الوجود ﷺ مع عمه العباس في بناء الكعبة. وعندما جاؤوا إلى وضع الحجر الأسود أرادت كل قبيلة أن تنال هذا الشرف، واختصمت كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تخالفوا وأعدوا للقتال. فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة.

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم أنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فقال أبو أمية بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها: «يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا».

فكان أول داخل دخل رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: "هلموا إلي ثوبًا"، فأتى به وأخذ الحجر فوضعه فيه بيده، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ﷺ ثم بنى عليه. وهكذا منع رسول الله ﷺ حربًا محتملة كانت ستنشب بين قبائل قريش. (ابن هشام، جـ ١، ٢٠٩ - ٢١٤)

وكان هذا التصرف الحصيف لسيد الكائنات، وأخلاقه الجميلة، والكمال الذي لا يدانيه كمال، وشخصيته العالية التي تثير الإعجاب في نفس كل فرد إشارات تطرح مبكرًا صفة «سلطان الأنبياء» التي ستعطى له بعد ذلك.

اعتكاف رسول الله ﷺ في غار حراء.

كان رسول الله ﷺ كلما اقترب وقت بعثته يعتكف كثيرًا، ويغرق في بحر التفكير العميق، وكان يخرج من بيته في كثير من الأحيان ويبتعد عن مكة ويذهب إلى حيث يجد السكون والهدوء. وفي هذه الأثناء كان رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا شجر إلا قال له: «السلام عليك يا رسول الله».

فكان رسول الله ﷺ يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة (ابن سعد، جـ ١، ص ١٥٧). وقد تحدث رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقال:

«إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» (مسلم، الفضائل، ٢)

ويحكي سيدنا علي رضي الله عنه حادثة تشبه تلك الحادثة فيقول: «كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبلُ ولا شجرُ إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله» (الترمذي، المناقب، ٦/ ٣٦٢٦)

وكان نور الوجود ﷺ عندما يهل شهر رمضان يذهب إلى غار حراء[1] فيعتكف هناك، وعندما ينتهي اعتكافه يطوف بالكعبة سبعة أشواط أو أكثر ثم يعود إلى بيته. وكان رسول الله ﷺ يحزن كلما رأى قومه يعبدون الأصنام وما يعيشون فيه من انحطاط في الأخلاق. وكان يفضل أن يبتعد عنه ويؤثر العزلة. وكانت العبادة التي يؤديها أثناء تلك العزلة والاعتكاف هي التفكر في خلق السموات والأرض كما كان يفعل جده إبراهيم عليه السلام. (العونى، جـ ١، ٦١)

ويُفهم من انزواء رسول الله ﷺ في غار حراء واعتكافه في الفترات التي تلت تلك بشكل منتظم أن وجوب التفكر في نفحات القدرة الإلهية التي في الكائنات، وتفضيل العزلة أحيانًا، ووجوب محاسبة النفس لابد أن يشكل قدرًا من العبادة في حياة المسلم اليومية. ولو لم يحدث هذا فلا يمكن للإنسان أن يصل إلى الكمال بمعناه التام. وهذا الأمر هو مهمة واجبة على كل مؤمن.

أما الأشخاص الذين سيرشدون البشر فإنهم يكونون أشد احتياجًا لهذا التفكر وتلك المحاسبة. وحتى يستقر حب الله تعالى في قلب العبد فلابد من التفكر في العظمة والقدرة الإلهية وذَكَرَ خالقَ الكائنات سبحانه كثيرًا في لحظات الوحدة والخلوة. وهذا الأمر يكون ممكنا فقط بالإعتكاف والإبتعاد عن مشاغل الحياة الدنيا.

---

١ غار حراء هو اسم للجبل الذي يوجد فيه ذلك الغار الذي نزل فيه الوحي للمرة الأولى. وجبل حراء يقع في جنوب شرقي مكة ويبعد عن مكة ٥ كم. وجبل النور هو الاسم الآخر لجبل حراء. وكان غار حراء الذي أصبح ذو مكانة هامة في حياة رسولنا فخر الكائنات ﷺ يقع في ذروة هذا الجبل. وهذا المكان كان عبارة عن تجويف ضيق يشبه الأنبوب يقع بين ثنايا الصخور الصلدة. وكان ارتفاع هذا لا يسمح لأحد أن يقف دون أن يخفض رأسه حتى لا يصطدم بالسقف، أما عرض هذا الغار فكان يمثل طول إنسان عادي. وهذا الغار كان مكانا يُرى منه الكعبة وما حولها ويساعد الإنسان على التفكر. وكان الحنفاء قبل رسول الله ﷺ ينزلون أحيانًا في جبل حراء. وكان عبد المطلب جد رسول الله ﷺ واحدًا من هؤلاء. وكان عبد المطلب يؤمن بوجود الله تعالى، وبالآخرة كمكان للجزاء والعقاب. وكان عبد المطلب حنيفا ينزوي في غار حراء ويترك نفسه للعبادة.

ويجب أن نذّكر هنا بأمر مهم في هذا الشأن وهو أن القصد من العزلة والابتعاد عن البشر لا يعني الهروب من المجتمع والإقامة في الجبال والمغارات؛ بل على العكس فإن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه لعكس هذا الأمر وكان يحثهم على التفاعل مع المجتمع فقال:

«المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (الترمذي، القيامة، ٥٥)

وكان رسول الله ﷺ سيد الكائنات يرعى الأغنام بنفسه، ويشتغل بالتجارة، ويشترك في حلف الفضول، ويساعد في بناء الكعبة أي أنه كان يساهم في فعاليات كثيرة بين الناس.

و باختصار كان رسول الله ﷺ نموذجًا جميلاً في قيامه بالأعمال الفاضلة كلها وابتعاده عن الأعمال السيئة والرذائل كلها.

أسئلة القسم الأول

أ- الأسئلة التقليدية

١- ماذا يعني أن يكون رسول الله ﷺ أول وآخر حلقة في سلسلة الأنبياء عليهم السلام؟

٢- هل يستطيع شخص ما لم يتعرف على رسول الله ﷺ أو يدرس سيرته الشريفة أن يفهم القرآن الكريم بشكل كامل؟ ولماذا؟

٣- كيف يكون لمعرفة حياة الرسول ﷺ أهمية في تعلم الثقافة الإسلامية، ومعايشتها بشكل صحيح؟

٤- ما الواجب علينا أن نعمله للمحافظة على أنفسنا في مواجهة مفاجآت الحياة المتنوعة ومصائبها ومصاعبها؟

٥- اذكر ما تعرفه عن إنشاء الكعبة؟

٦- لماذا أراد أبرهة هدم الكعبة؟ وكيف انتهت هذه المحاولة؟

٧- ما هي الحكم المستفادة من إهلاك جيش أبرهة بالطيور والأحجار الصغيرة؟

٨- ما هي العبر المستخلصة من "حادثة الفيل"؟

٩- ماذا كان يقصد رسول الله ﷺ عندما قال: "أنا ابن الذبيحين"؟

١٠- لماذا تمَّ أعطاء رسولنا الكريم ﷺ لإحدى المرضعات؟

١١- وضح الحكمة من فقد رسول الله ﷺ لأبيه قبل مولده، وأمه وهو في السادسة من عمره، وجده وهو في الثامنة من عمره؟

١٢- كيف كان تأثير عدم اقتراف رسول الله ﷺ لأي من ذنوب أو عادات الجاهلية قبل بعثته الشريفة فيمن حوله بعد بعثته الشريفة؟

١٣- بين الحكم من عمل رسول الله ﷺ في طفولته في الرعي؟

١٤- تحدث باختصار عن رحلات التجارة التي اشترك بها رسول الله ﷺ في شبابه؟

١٥- لماذا تأسس حلف الفضول؟ وأي المؤسسات يشبه في عصرنا الحاضر؟

١٦- كيف تم زواج رسولنا الكريم ﷺ بأمنا خديجة ﵂؟

١٧- اذكر سبب تسمية العاصي بن وائل لرسول الله ﷺ "بالأبتر"؟

١٨- ما سبب انزواء رسول الله ﷺ كثيرًا قبيل بعثته الشريفة؟

ب - أكمل الفراغات التالية :

١- الشخص الوحيد في التاريخ الذي ذُكرت أدق تفاصيل حياته كلها هو ....

٢- رغم انتشار عبادة الأصنام في مكة كان هناك ما يتعبدون على دين إبراهيم عليه السلام وكان يطلق على هؤلاء ....

٣- قال رسول الله ﷺ. أنا .... جدى إبراهيم. و .... أخي عيسى ، و .... أمي."

٤- لقد شرف رسول الله الدنيا يوم.......... ربيع الأول الموافق .... من إبريل من عام............. للميلاد.

٥- جاء ذكر رسول الله ﷺ في الإنجيل تحت اسم ....

٦- والدات رسول الله ﷺ بالرضاعة هما السيدة .... ، والسيدة ....

٧- فقد رسول الله ﷺ أمه وهو في .... من عمره، وفقد جده وهو في .... من عمره.

٨- تزوج رسول الله ﷺ بالسيدة .... وكانت في سن ....

٩- كل أولاد الرسول ﷺ جاؤوا من السيدة خديجة رضي الله عنها ما عدا ....

١٠- توفي كل أولاد الرسول ﷺ في حياته ما عدا السيدة ....

جـ- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- **ما الموضع الذي سيهوي إليه شخص لا يطيع رسول الله ﷺ؟**

أ- تنقطع النعم والأرزاق التي ينعم الله تعالى بها عليه.

ب- يصير غنيًّا بسبب ابتعاده عن الإنفاق وعن حدود الدين.

ج- تصير أعماله التي يعملها هباءً منثورًا.

د- يقل الثواب الذي يحصل عليه من عباداته.

٢- **أي من هذه التعبيرات التالية التي وردت في القرآن الكريم لا يخص رسول الله ﷺ؟**

أ- "وإنك لعلى خلق عظيم".

ب- "إن الله وملائكته يصلون على النبي".

جـ- هو الرسول الوحيد الذي أرسل لدعوة الناس إلى الحق وطريق الهداية.

د- يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم".

٣- **أي من هذه الأمور لا يطلبها الله تعالى منا عند احترام رسولنا الكريم ﷺ؟**

أ- أن نُجِلَّه ونظهر الاحترام له.

ب- ألا نخاطبه بدون احترام.

جـ- ألا نذكر اسمه إلا ونحن على وضوء.

د- أن نصلي ونسلم عليه.

٤- **أي من هذه الأشياء ليست من الحكم في اختيار جزيرة العرب لظهور الإسلام وانتشاره؟**

أ- إن الجزيرة العربية حفظت عبر التاريخ من الهجمات العسكرية والثقافية.

ب- إن الجزيرة العربية كانت أرضاً زراعيةً كثيرة البركةِ والنماءِ.

جـ- إن العرب كانت لديهم بعض الفضائل الأخلاقية وأن فطرتهم لم تفسد بشكل كامل.

د- إن الجزيرة العربية كانت مكانًا مقدسًا عبر التاريخ.

٥- **أي مما يلي ليس من الأحداث التي توضح قدسية الكعبة؟**

أ- عندما أخرج آدم من الجنة أنزل عندها.

ب- عندما أراد أبرهة أن يهدمها مزقه الله تعالى.

جـ- جعلها الله تعالى قبلة للمسلمين.

د- تركها المسلمون وهاجروا إلى المدينة المنورة.

٦- **أي من هذه ليست من الأشهر الحرم التي كان العرب يمتنعون فيها عن القتال؟**

أ- رمضان.

ب- ذي القعدة.

جـ- المحرم.

د- رجب.

٧- **أي من هذه العبارات يمكن أن تخرج عن "واقعة الفيل"؟**

أ- الكعبة أنشئت بأمر الله تعالى وهي محفوظة بحفظه طوال الوقت.

ب- الأشخاص الذين لا يقنعون بما في أيديهم ويطمعون في المزيد سيهلكون ذات يوم كما هلك أبرهة.

جـ- لو أراد الله تعالى لأهلك عبيده العصاة الضالين بأصغر الحيوانات.

د- من يسيء إلى عبد أو مكان له عند الله قيمة يستحق العذاب الإلهي.

٨- **أي من هذه القبائل لا تدخل في نسب الرسول الكريم ﷺ؟**

أ- بني النجار.

ب- بني كنانة.

جـ- بني هاشم.

د- بني قريش.

٩- **أي من هذه المعلومات التي تتحدث عن الأحداث التي تزامنت مع ميلاد الرسول الكريم ﷺ ليست صحيحة؟**

أ- ظهور المصائب في الأماكن التي ينتشر بها الظلم والكفر.

ب- تطهرت مكة ذلك المكان المعد لظهور الإسلام وتجهزت لاستقباله.

جـ- زاد النور والبركة في الأماكن التي شرفها رسول الله ﷺ.

د- انمحت وهلكت رموز العقائد الباطلة.

١٠- **أي من هذه ليست من الأسباب التي دعت إلى إعطاء نور الوجود ﷺ لسيدة ترضعه؟**

أ- الرغبة في التحدث باللغة العربية على نحو أجمل وأفصح.

ب- الحرص على حمايته من حرارة مكة وأضرار الهواء غير الملائم.

جـ- الحرص على أن ينشأ في وسط يجعل الإنسان شجاعًا صحيحًا بدلا من جو المدينة

د- كانت السيدة آمنة مريضة وغير مؤهلة للعناية به ورعايته.

١١- أي من هذه الأشياء لا يمكن أن تكون من الحكم الخاصة بحادثة شق صدر رسول الله ﷺ؟

أ- وضع الآيات التي ستوحي إليه بعد ذلك بشكل جيد في قلبه منذ البداية.

ب- تجهيز القلب لتلقي الوحي عن طريق التطهير المعنوي لعالمه القلبي.

جـ- إعداده ليفهم بشكل أفضل الحقائق الإلهية التي سيوحى بها إليه بعد ذلك.

د- تنقية القلب من سائر الخصال السيئة واستبدالها بالفضائل والخصال الحسنة.

١٢- أي من هذه الأشياء لا يصح أن تكون من الحكم المتعلقة بمعاناة رسول الله ﷺ في صغره؟

أ- لأن رسول الله ﷺ نشأ محزوناً كسير القلب فقد صار صاحب قلب حساس للغاية.

ب- عندما لم يعد أحد يُراعيه بجواره فقد توجه إلى الله منذ طفولته.

جـ- حتى لا يتعلم أشياء ومعلومات خاطئة من أبويه بشكل عام.

د- حتى يجد فيه كل إنسان من أمته يتعرض لشتى أنواع المواقف القدوة والمثال.

١٣- أي من هذه الأشياء لم يكن رسول الله ﷺ يملكها قبل بعثته؟

أ- لم يعبد سوى الله تعالى.

ب- كان صاحب أجمل أخلاق وأعلى مكانة في قومه.

جـ- لم يكن يهتم بالآخرين حتى لو تعرضوا للظلم.

د- كان يبتعد عن إلحاق الأذى والسوء بالآخرين.

١٤- قال رسول الله ﷺ: "مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ. فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: "نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ" أي من العبارات التالية لا تقال عن الخصال التي يكسبها رعي الأغنام للبشر؟

أ- الرفق بمن تحت إدارته والصبر عليهم.

ب- أن يكون رحيمًا وأن يتحمل شتى الصعاب التي تقابله.

جـ- أن يكون بصيرًا ويحمي من تحت إدارته من شتى أنواع المخاطر.

د- أن يكون وفياً ولا ينسى أي جميل قُدم إليه.

١٥- أي من هذه العبارات التي تتعلق بتأسيس "حلف الفضول" صحيحٌ؟

١- زيادة اللصوصية والسرقة في المجتمع.

٢- تعرض البشر للظلم والقهر.

٣- إضعاف القوة السياسية للأغنياء والأصلاء.

٤- معاقبة من يرتكب الظلم في المجتمع بعقاب شديد.

٥- البحث عن حقوق الضعفاء.

أ- ١، ٢، ٣ ب- ١، ٢، ٥

جـ- ١، ٢، ٤ د- ١، ٣، ٤، ٥

١٦- أي من هذه المعلومات الخاصة بزواج السيدة خديجة برسولنا ﷺ ليس صحيحًا؟

أ- عمل رسول الله ﷺ بالتجارة بأموال السيدة خديجة كان وسيلة لمعرفة كل منهما للآخر عن قرب وشَكَّل هذا الأمرُ أرضيةً لهذا الزواج.

ب- مع أن الرسول ﷺ كان لديه إمكانيات الزواج بسيدة شابة إلا أنه فضل الزواج بالسيدة خديجة بسبب غناها وجمالها.

جـ- لم يكن رسولنا الكريم ﷺ يفكر بالزواج بسبب انعدام الإمكانيات المادية ولكنه لم يرفض العرض الذي جاء إليه من سيدة صالحة نجيبة للغاية.

د- رغم أن كثيراً من رجال مكة الأغنياء الأصلاء كانوا يريدون الزواج بالسيدة خديجة إلا أنها أرادت الزواج بسيدنا رسول الله ﷺ بسبب إعجابها بشخصيته.

١٧- استطاع رسول الله ﷺ أن يمنع إراقة الدماء بين قبائل مكة عن طريق حل عبقري كان محل قبول من الجميع ولم يعترض عليه أحد فأي من هذه الخصال الجميلة لا تتعلق بتلك الحادثة؟

أ- أنه كان شخصًا متواضعًا ذو قلب رحيم.

ب- أنه كان صادقًا أمينًا.

جـ- أنه كان عادلاً مستقيمًا.

د- أنه كان عاقلاً بصيرًا.

١٨- رغم أن رسول الله ﷺ أعتق زيد بن حارثة، ورغم أنه التقى بأبيه وعمه إلا أنه فضل البقاء بجوار رسول الله ﷺ. فأي مما يلي كان السبب في اتخاذه هذا القرار؟

أ- قلة حبه لوالده وعمه بسبب بعده عنهم لسنوات عديدة.

ب- خوفه من أن يفقد السكينة والسعادة المعنوية التي كان يجدها في جوار رسول الله ﷺ الذي كان يحبه بشدة.

جـ- لأنه لم يكن ليجد في منزله الراحة المادية التي وجدها عند رسول الله ﷺ.

د- لأنه لم يكن ليرى رسول الله ﷺ مرة أخرى أبدًا إذا ما تركه.

١٩- أي مما يلي ليس من الأعمال التي كان يقوم بها رسول الله ﷺ قبل النبوة عندما كان في غار حراء؟

أ- المحافظة على نفسه من التدني الأخلاقي الإيماني السائد في المجتمع الذي كان يعيش فيه.

ب- التفكر في نفحات القدرة الإلهية التي في الكون ومحاسبة النفس.

جـ- تمضية وقته في التسبيح والصلاة والصوم في جو من الإعتكاف.

د- البحث عن حلول للوضع السيئ الذي كان يعيش فيه الناس من ناحية الإيمان والأخلاق.

٢٠- قال رسول الله ﷺ: "إن المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (الترمذي: القيامة، ٥٥) أي من النتائج التالية لا يمكن أن تنتج من هذا الحديث؟

أ- الإنزواء في مكان بعيد عن جميع الناس ليس ملائماً لممارسة الدين فيه.

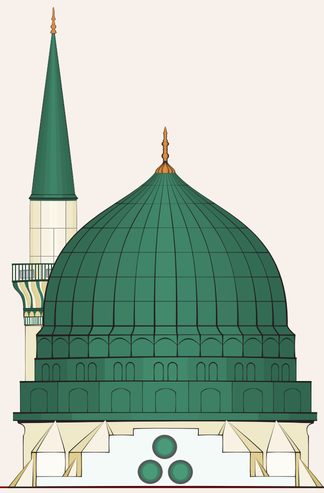
ب- مساعدة المؤمن للمؤمنين الآخرين عبادة في الإسلام.

جـ- الحياة بين الناس والإختلاط بمشاكلهم أكثر صعوبة لكنه مقبول.

د- الإبتعاد عن الناس والعبادة المستمرة والإنشغال بالتفكر هو أمر من أمور الدين.


محمد رسول الله

القسم الثاني





العهد المكي للبعثة

بداية الوحي: الرؤيا الصادقة

إن رسول الله ﷺ سبب وجود العالمين الذي عاش شابًّا طاهراً، وزوجًا ورب أسرة عظيماً عالي القدر قد بُعث رحمة للعالمين وهو في سن الأربعين. وقبل أن يبلغ رسول الله ﷺ الأربعين من عمره الشريف فتحت له القدرة الإلهية غار حراء كمدرسة للفكر الروحي.

وقد أخذ رسول الله ﷺ يتلقّى الدروس في مدرسة العلم والنور تلك التي تسري فيها التربية الإلهية بشكل خفي، دون أن يشعر بالحاجة إلى الكتاب والدفتر والقلم بكيفية تظل سرًّا أبديًّا بينه ﷺ وبين ربه تعالى، وهكذا تم إعداده ﷺ لتلقي الوحي.

وقد مرت فترة الإعداد هذه التي استمرت ستة أشهر على نحو يتمثل في رؤية الرؤى الصادقة التي يمكن أن تستوعب في إطار العقل. وفي تلك الأوقات كان أي شيء يراه رسول الله ﷺ في رؤياه ليلاً يتحقق في النهار كما رآه.

وقد تحدثت السيدة عائشة رضي الله عنها عن هذا الأمر فقالت:

"أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم. فكان لا يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" (البخاري، بدء الوحي، ٣)

وبسبب عظم وظيفة النبوة وضخامتها وثقلها فقد بدأ جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ في المنام ليعوده على تلك الوظيفة المهمة ويجهزه لها. وتبعا لما روي عن علقمة بن قيس قال:

"إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد" (ابن كثير، البداية، جـ٣، ٥٥)

ولهذا السبب كانت الرؤى واحدة من طرق تلقي الوحي، والدليل على ذلك قول إبراهيم عليه السلام في الآية الكريمة:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات، ١٠٢)

الثلاث سنوات الأولى للنبوة: مرحلة الدعوة السرية.

مجيء الوحي لأول مرة وانقطاع الوحي لفترة.

بلغ رسول الله ﷺ الأربعين عامًا واكتملت فترة الإعداد لتلقي الوحي التي استمرت لستة أشهر. وفي السابع عشر من شهر رمضان المبارك. وبينما كان رسول الله ﷺ في غار حراء بحسب عادته في ذلك الوقت إذا بسفير السماء جبريل عليه السلام يأتي لرسولنا الكريم ﷺ فيقول له:

«اقرأ» فرد عليه رسول الله ﷺ: «ما أنا بقارئ».

وعند ذلك ضمه الملك إلى صدره وعصره حتى كاد رسول الله ﷺ أن يهلك ثم أرسله مرة أخرى وقال له:

«اقرأ» فرد عليه رسول الله ﷺ مرة أخرى: «ما أنا بقارئ»،

فضمه الملك ضمة ثانية حتى كادت أنفاس الرسول ﷺ أن تنقطع ثم سأله مرة ثالثة:

«اقرأ» فأجابه رسول الله ﷺ من جديد: «ما أنا بقارئ»!

فقال له جبريل عليه السلام:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق، ١ – ٥)

وهكذا كانت بداية نزول القرآن الكريم الذي وهبه الحق ﷻ وأعطاه للإنسانية كلها منبعًا عظيمًا للشفاء والرحمة على رسولنا الكريم ﷺ.

وعندما انفصل رسولنا الكريم ﷺ عن جبريل عليه السلام هرع إلى منزله والعرق يتصبب منه ويرتجف مما رأى. حتى دخل على السيدة خديجة رضي الله عنها فقال لها:

«زملوني زملوني».

فزملوه حتى ذهب عنه الروع بعد فترة، وعند ذلك بدأ يقص عليها الخبر. وقال لها وهو حزين:

«يا خديجة ! لقد خشيت على نفسي».

فردت عليه زوجته تلك السيدة المباركة المجربة الفاضلة البصيرة الحنون الراجحة العقل الطيبة القلب:

«والله لا يُخْزِيكَ الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

ثم أردفت قائلة:

«الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا ابن عم واثبت فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة».

وهكذا كانت السيدة خديجة أول من صدق برسالته وأنه نبي آخر الزمان وأول من دعمه وسانده.

وعقب ذلك انطلقت به السيدة خديجة ﵂ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان مشهورًا بالعلم والفضل في زمن الجاهلية، وكان لا يعبد الأصنام. وكان ورقة شيخًا كبيرًا كف بصره، وكان يعتنق المسيحية، ويعرف اللغة العبرية، ويكتب كتابات من الإنجيل.

فقص رسول الله ﷺ على ورقة ما رآه، فالتمعت عينا ورقة بن نوفل وتهللت أساريره لأنه تيقن مما سمعه أن رسول الله ﷺ هو نبي آخر الزمان ثم صمت ورقة مستغرقًا في تفكير عميق وقال لرسول الله ﷺ:

«إن هذا الذي رأيته هو الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذّعًا، ليتني أكون حيا إذا يخرجك قومك».

فسأل رسول الله ﷺ متعجبًا: «أوَمُخْرِجِيَّ هم؟»

قال ورقة بن نوفل:

«نعم، لم يأت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي، وأوذي، وإن يدركني يومك أنْصُرك نصرًا مؤزّراً».

ولم يمض وقت طويل بعد ذلك اللقاء إلا وقد توفي ورقة بن نوفل. وبعد هذه الآيات الأولى انقطع الوحي فترة لمدة طويلة.(انظر: البخاري، بدء الوحي، ١؛ الأنبياء ٢١؛ التفسير ٩٦؛ مسلم، الإيمان ، ٢٥٢/ ٢٥٢)

ولعل اِحدى الحكم أن يبدأ الوحي الأول الذي نزل على رسول الله ﷺ بأمر «اقرأ» أن أمر اقرأ ليس المراد به تحصيل العلم فقط؛ بل أن يحتوي على تزكية وتصفية قلبية، وإعدادٍ تأهيلي لتلقي المعارف والحكم الإلهية.

وهذا يعني أنه يستطيع قراءة عالم الوجود بقلب تنعكس عليه تجليات الصفات الإلهية. وتبعاً لهذا الحال فإن الكون في نظر أي إنسان يقرأ يتحول إلى ما يشبه المكتبة تقريبًا.

وهكذا يدرك الفرد معنى الحياة عندما يقرأ «كتاب الإنسان» و«كتاب الكون» و»كتاب القرآن»، وينظم حياته تبعاً لهذا.

فمثلاً عبر مولانا جلال الدين الرومي عن المراحل المعنوية التي قطعها فقال عن فترة قراءة الكتب التي هي عبارة عن مداد وأوراق فقال: «كنت نسيّا»، وعن فترة قراءة أسرار كتاب الكون فقال: «نضجت»، وعن وصوله للعشق وانصهاره في بوتقة العشق الإلهي فقال: «احترقت».

وكان انقطاع الوحي عن رسول الله ﷺ هو إعداد وتجهيز جيد لفيوض الوحي الأخرى التي ستتوالى بعد ذلك. ذلك أن تلقي الوحي وتبليغه للناس هي مهمة عظيمة جليلة القدر ليس من السهل تحمل مسؤوليتها، لذا قال الحق ﷻ لرسوله:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل، ٥).

ولهذا السبب فإن رسول الله ﷺ عندما رأى جبريل عليه السلام أمامه عقب الرؤى الصادقة شعر بالاضطراب والهلع، لكنه أصبح مطمئن القلب بتسلية السيدة خديجة ودعم ورقة بن نوفل له.

فضلاً عن ذلك فإن رسول الله ﷺ كان شديد الشوق لرؤية الوحي من جديد ونفد صبره تقريبًا حتى أنه كان يصعد أحياناً لغار حراء ذلك المكان الذي تلقى فيه الوحي الأول وينتظر هناك بشوق مجيء الوحي من جديد.

وفي أيام الإنقطاع تلك كانت السيدة خديجة رضي الله عنها هي الإنسان الوحيد الذي يسليه ويطيب خاطره، لذلك لم ينس رسول الله ﷺ أبداً رقتها وحنانها وعطفها عليه. حتى أنه بعد وفاتها كان كلما ذبح أضحية أرسل منها إلى أقارب خديجة. وقد ضرب رسول الله ﷺ في وفائه للسيدة خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها النموذج الأرقى والأروع في تاريخ الإنسانية (تاريخ العلاقات الزوجية).

حقيقة الوحي وصور مجيئه

إن كلمة الوحي تأتي بمعان متعددة من قبيل الإشارة المصورة والإلهام والكلام الخفي. وكان الوحي هو وسيلة الإخبار والإعلام للرسل بالأشياء التي يريد الحق ﷻ أن يعرفها للبشر. يقول الحق ﷻ:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى، ٥١)

وذات يوم سأل الحارث بن هشام رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟

فقال رسول الله ﷺ:

«أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَس، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وقَدْ وَعَيت مَا قَالَ. وَأَحْيَانًا يَأْتِينِي الْمَلَكُ رجُلا فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ»،

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

«فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا». (البخاري، بدء الوحي، ٢)

وقد صنف علماء الإسلام أشكال مجيء الوحي على النحو التالي:

١- الوحي يأتي على شكل رؤى تُرى في المنام وتتحقق كما رؤيت في المنام

٢- كلام يُوحي به ملك الوحي على قلب الرسول ﷺ دون أن يُرى.

٣- يأتي ملك الوحي على صورة إنسان فيعلمه الوحي كما حدث في الحديث الذي جاء فيه الملك جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بين أصحابه على هيئة إنسان فسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان ويوم القيامة. وكان يريد بهذا أن يعلم الصحابة الكرام أمور دينهم (البخاري، الإيمان، ٣٧، مسلم، الإيمان ١ – ٥)

٤- وأحيانا كان يأتي الوحي مثل صوت جرس عظيم. وعندما يمر الوحي على تلك الحال كان رسولنا ﷺ يعلم أن الملك سوف يوحي إليه بشيء.

٥- أن يأتي إليه جبريل على صورته الملائكية. وهذه الحال حدثت مرتين الأولى عندما كان الرسول ﷺ يهبط من غار حراء عقب فترة الانقطاع الأولى، والثانية عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج.

٦- أن يتحدث الله ﷻ مع رسوله مباشرة دون وجود ملك الوحي وقد حدث في حادثة الإسراء والمعراج.

٧- أن يوحي جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وهو في حال المنام. وقد ذكر بعض المفسرين أن سورة الكوثر قد نزلت على هذا النحو.

وطبقاً لما حكاه بعض الصحابة الكرام فإن حال رسول الله ﷺ أثناء الوحي تكون شديدة فكان وجهُه يحمر مثل الوردة، وكان يغمض عينيه، ويُطأطئُ رأسه. وكان الصحابة يحنون رؤوسهم أمامه، ولم يكن أحدهم يرفع رأسه أبدا حتى ينتهي الوحي، ولم يكن أحدهم يملك الشجاعة لينظر إلى وجه الرسول ﷺ المبارك.

وفي بعض الأحيان عندما كان ينزل الوحي كان يسمع دوياً كدوي النحل. وكان رسول الله ﷺ في هذه الأثناء يتنفس بصعوبة، وإذا نزل عليه الوحي حتى في اليوم الشديد البرد يقطر جبينه بالعرق كحبات اللؤلؤ. (البخاري، بدء الوحي٢٢، العمرة ١٠؛ مسلم، الفضائل ٨٧؛ الحدود ١٣؛ الترمذي، التفسير ٢٣ / ٣١٧٣، أحمد، جـ ٥ ، ٣٢٧)

وإذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو راكب ناقته لم تكن الناقة تتحمل ثقل الوحي فتجثو على الأرض من شدة ثقل الوحي. وذات يوم كان رسول الله ﷺ يركب ناقته المسماة "العضباء" فنزلت عليه سورة المائدة فكادت من ثقلها أن تدق عضد الناقة وتكسر أقدامها. (أحمد، جـ ٢، ١٧٦؛ جـ ٦، ٤٤٥؛ ابن سعد، جـ ١، ١٩٧؛ الطبري، التفسير، جـ ٦، ١٠٦)

ويحكي زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول:

"كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقًا مثل الجمان، ثم سرى عنه فأكتب وهو يملي عليّ فما أبرح حتى تكاد رجلي تتكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدًا". (أحمد: المسند، جـ٥، ١٩٠ - ١٩١)

وقد ادعى المستشرقون الذين أنكروا أن القرآن الكريم كتاب إلهيٌّ ادعاءات مرفوضة غير مقبولة عن أن الوحي كان عبارة عن إلهامات تنشأ في قلب رسول الله ﷺ نتيجة التفكر والإحساس، وهذه الادعاءات التي قالها هؤلاء منبعها ضعف الإدراك والحقد والبغضاء التي في قلوبهم ضد الإسلام.

والخوف الذي شعر به رسول الله ﷺ عندما رأى جبريل عليه السلام في أول الوحي يؤكد أن هذا لم يكن محض خيال أو هلوسة رآها رسول الله ﷺ. لأنه ليس من المنطقي أن يخاف شخص ما من شيء يتخيله، أو يظن أنه رآه بإرادته ورغبته.

والوحي في الواقع هو حقيقة جاءت من خارج عالم رسول الله ﷺ الداخلي، ومن شيء لم يكن له علاقة به. ولو كان حقيقة الوحي عبارة عن معلومات اكتسبها رسول الله ﷺ بتجاربه الشخصية الخاصة به لم يكن ليتحير أو يندهش أمام ما رأى أو أُخْبر أو معلومة تأتي إليه عن طريق هذا الوحي.

وتُظهر حادثة انقطاع الوحي لمدة من الزمن أن الوحي لم يكن حادثة داخلية تحدث في روع رسول الله ﷺ وفي روحه نتيجة التفكر الطويل. فضلا عن ذلك فإن رسول ﷺ لم يكن ينتظر مجيء الوحي إليه. وتوضح الآية هذا الأمر فتقول:

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾ (القصص، ٨٦)

وأوضح دليل على هذا أن نتاج الوحي وهو القرآن الكريم يختلف في آياته الكريمة وفي أسلوبه بشكل جلي عن الأحاديث الشريفة.

وفي بعض الأحيان ورغم أن رسول الله ﷺ كان مجبرًا على إعطاء ردٍّ على بعض الأمور بشكل فوري؛ إلا أنه كان ينتظر الوحي. فمثلا في حادثة الإفك سكت رسول الله ﷺ مدة طويلة وانتظر الوحي، وفي أحيان أخرى لم يجب عن بعض الأسئلة التي سألها اليهود، لأن جواب هذه الأسئلة كان سيأتي به الوحي. فلو كان الأمر على ما يدعي المستشرقون ولو كان القرآن الكريم نتاج أفكار رسول الله ﷺ نفسه لكان أعطى الجواب عن هذه الأسئلة على الفور ولما تعرض لهذا المأزق.

وأوضح دليل على أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى هو إخبار القرآن بأمور غيبية، فالقرآن الكريم قد قص بشكل مطابق للحقيقة المعارف والمعلومات التي ندرسها حتى ولو كانت من التاريخ السحيق.

ولم تكن هناك في مكة في القرن السابع الميلادي مؤسسة علمية ولا صاحب ثقافة في مستوىً يؤهله لمعرفة وتقييم هذه المعلومات. والمعلومات الخاصة بالتاريخ كلها كانت عبارة عن مجموعة من الحكايات الفارسية المحلية التي يحكيها التجار بشكل أسطوري مملوءة بكثير من التناقضات. وعلى هذا فإن المعلومات التاريخية في القرآن الكريم لم يكن لأي شخص أن يعرضها بهذا التكامل الفذ، ولا أن يطرحها بهذه العقلانية وتلك الفِراسة.

وفي تلك الحال فهل من المعقول أن يكون إنسان أمي صلوات ربي وتسليماته عليه ظهر في مجتمع جاهلي كهذا المجتمع يكون منبعًا ومصدرًا -دون وحي من الله تعالى- لمعاني كتاب كالقرآن الكريم؟! بالطبع لا ! وهذا يوضح أيضًا أن الأخبار التي أخبر بها رسول الله ﷺ قد أوحيت له من لدن الله ﷻ. من جديد فإن أسلوب القرآن الرائع الموجه لرسول الله ﷺ والذي يوضح تواضع رسول الله ﷺ وتعجبه أمام الوحي الذي ينزل عليه يؤكد بشكل قاطع أن ذلك الوحي كان يأتي لرسول الله ﷺ من خارج نفسه ومن عالم علوي.

أُمِّيَّة رسولنا ﷺ والحكمة منها

إن كلمة أمي تأتي بمعانٍ مثل الطاهر والنقي كيوم ولدته أمه، والذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، والذي لم ينل حظًّا من التعليم.

ومثلما أوضح القرآن الكريم فإن رسول الله ﷺ كان أُمِّيًّا. أي لا يعرف القراءة والكتابة. يقول الحق ﷻ:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(الأعراف، ١٥٧)

وفي تلك الفترة كان العرب بشكل عام أميين. وقد تشكلت أمة العرب من أقوام ضعاف الثقافة لا يعرفون القراءة والكتابة. وقد بعث الحق ﷻ فيهم رسولاً منهم في القمة من الأخلاق والطهارة المعنوية. وفي ذلك تقول الآية الكريمة:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة، ٢)

والأُمِّيَّة صفة تفيد النقص العلمي في حق سائر البشر، أما بالنسبة لرسولنا ﷺ فهي دليل على نبوته. لأنه ﷺ رغم أنه لم يبذل أي مجهود علمي، إلا أنه كان صاحب علم وعرفان أكبر وأعظم ممن يقرأون ويكتبون. وهذا لطف كبير ومعجزة منحها الله تعالى له. وفي ذلك يقول الحق ﷻ:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت، ٤٨)

وهذه الحقائق توضح أن أي من الاعتراضات والنقد الموجه لشخص رسول الله ﷺ لم يكن له نصيب من الصدق والحقيقة، لأن أي إنسان أُمِّي لا يمكنه دون مساعدة إلهية أي وحي أن يكتب كتابًا معجزًا للبشر والجن جميعهم عن طريق الإحساس والإلهام القلبي، وأن يعرف حقائق تاريخية مثل التي جاءت في قصص فرعون وموسى ويوسف (عليهما السلام).

حِلْيَةُ السعادة

إن كلمة الحلية تعني الزينة وجمال الوجه والروح. وكمفهوم ديني هي وصف لجمال الرسول ﷺ الظاهري بحسب قدرة الكلمات على الوصف، أو هي على أفضل تقدير رسم لصورته الشريفة ﷺ.

عندما نريد أن نصور الرسول الأكرم ﷺ ووجهه المبارك الذي يتلألأ بالنور فإن الكلمات مثلما تعجز عن ذلك فإنه يجب أن يوضع في الحسبان عجز بني البشر عن رؤية حقيقته وإدراكها. لأنه ليس من الممكن تعريف ذلك الوجود الذي لا نظير له، والذي جمع في شخصه كل الجماليات التي وهبها الحق ﷻ لبني البشر.

وكل التصورات التي تسعى لترسم بالكلمات صورة لسيدنا رسول الله ﷺ - أنه كان وسيم الوسماء وعظيم العظماء- هي محاولة لتسلية القلوب التي احترقت بالشوق لعصره عصر السعادة ولو بلمحة من لمحاته. والأشخاص الذين نقلوا الروايات القيمة التي تحكي عن رسول الله ﷺ قد قدموا لنا قطرة من بحاره تقريبًا. والمؤمنون الذين يحاولون رؤية البحر من هذه القطرات قد بذلوا جهدهم للتخلق بأخلاقه وشمائله مدفوعين بمحبة بالغة لسيد العالمين ﷺ.

فهذا سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه يسأل خاله غير الشقيق هند بن أبي هالة رضي الله عنه سؤالاً يدلل على التعلق الروحي برسول الله ﷺ فيقول:

«سأَلْتُ خالي هند بن أبي هالة عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي شيئاً منها أتعلق به» (الترمذي، الشمائل، ص ١٠)

ولم يكن الحسن والحسين رضي الله عنهما يشبعان من الإستماع لشمائل الرسول الكريم ﷺ ذي الوجه الباسم، وكثيراً ما سمعا من والدهما علي رضي الله عنه عن جمال وجه الرسول ﷺ المبارك.

وكل الأوصاف الشريفة التي وصلت إلينا اليوم لم تنقل لنا سوى جزءٍ محدودٍ للغاية من جمال أجمل كائن في الوجود ﷺ. ونحن مع التسليم بعجزنا قد سعينا هنا لكي ننقل بعض القطرات التي رشحت على قلوبنا من تلك الروايات التي وردت في هذا الشأن فنقول:

كان رسول الله ﷺ ربعةً ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الجسم فخمًا مُفخمًّا، بعيد ما بين المنكبين، معتدل الخلف، عريض الصدر، ضخم العظام والمناحل، أزهر اللون، جسمه ألين من الحرير، طاهر الجسد تفوح منه دائما ريح المسك.

لو صافحه شخص يظل طوال يومه تفوح منه رائحة المسك. ولو مسح على رأس الطفل بيده المباركة تظل رائحة كريمة تفوح من رأس هذا الطفل. تتقطر منه حبات العرق كأنها حبَّات اللؤلؤ. كث اللحية، رَجِلَ الشعر، توفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن كأنها الهلال. بين حاجبيه عرق ينفض منه الغضب في الحق. واسع الفم، مفلج الأسنان، يستعمل السواك دائما. وكان يوصي أصحابه وأمته باستعماله دائما، طويل رموش العين شديد سوادها. أدعج العينين. صورته يد القدرة في أكمل صورة كامل الخلق والخلقة ﷺ. (الحاكم، جـ ٣، ١٠؛ أحمد، جـ ٤، ٣٠٩؛ ابن كثير، البداية، جـ ٦، ٣١ – ٣٣).

وكان وجهه يتلألأ مثل القمر ليلة البدر تصفه السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول:

«كنت في حجرتي أخيط ثوبًا لي فانكفأ المصباح وأظلمت الحجرة وسقط المخيط من الإبرة. فبينما كنت قد تحيرت أتحسس مخيطي إذ أطلّ عليّ رسول الله ﷺ بوجهه من باب الحجرة. فوالله الذي لا إله إلا هو لقد أضاءت أرجاء الحجرة من نور وجهه، حتى التقطت المخيط من نور طلعته» (الترمذي، ٣٥٤٦)

وكان خاتم النبوة بين كتفيه. وكان كثير من الصحابة يعيش حياته وهو يتوق إلى تقبيل هذا الخاتم. (الترمذي، الشمائل، ص ١٥؛ ابن سعد، جـ ٢، ٢٧٢)

ولم يتعرض جسده الشريف لأي تغير والسبب في ذلك كون جسده الشريف من نور. وعندما نظر أبو بكر رضي الله عنه إلى «نور الوجود» بعد وفاته متأثرًا باكيًا حزينًا دامع العين قال له بعد أن قبل جبينه الشريف المبارك:

«طبت حيًّا وميتًا يا رسول الله».

وليس من الممكن إيضاح عمق الإحساس القلبي لنور الوجود ﷺ وكل كلمة قالها لم تكن عبثًا بل كانت عبارة عن حكمة ونصيحة، ولم يكن في قاموسه ﷺ قط كلمة فارغة لا فائدة منها، وكان يقول الكلمة بحسب إدراك كل شخص وفهمه. وكان ﷺ متواضعًا ليِّنًا، وكان جل ضحكه تبسمًا، من رآه بديهةً هابه وما خالطه أحد يعرفه إلاّ أحبه من كل قلبه، وعَشِقه من صميم الفؤاد.

وكان جماله ﷺ وهيبته ونورانيته بالغًا للحد الذي لم يكن يحتاج لمعجزة أو دليل آخر ليثبت أنه رسول الله ﷺ.

ويجب أن نذكر أن قلب أي إنسان بحكم الفطرة يميل إلى الجمال ويريد أن يصاحب كل جميل، وبسبب هذه الجذبة فإن ذهن الإنسان ينشغل به دائمًا، وتنبع في القلب رغبة للتشبه بمن يحبه روحيًّا وأخلاقيًّا.

ونتيجة هذا أن يتخذه الشخص القدوة الذي يحبه نموذجًا ويتمثله في كل أحواله، وبسبب هذا الوضع الفطري فإنه من المحقق أن شمائله الشريفة ستصير وسيلة لزيادة محبة الرسول ﷺ، والإشتياق إليه، وتكون سببًا لاتباعه والسير على هديه.

عودة الوحي

استمرت فترة انقطاع الوحي لستة أشهر، ويحكي رسول الله ﷺ عن عودة الوحي من جديد فيقول:

«فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي،

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾» (المدثر:١-٥) (البخاري، التفسير، ٧٤/ ٤، ٥/ ٤٩٢٥؛ مسلم، الإيمان، ٢٥٥-٢٥٨)

ومع نزول سورة المدثر نهض رسول الله ﷺ على الفور. فتعجبت السيدة خديجة رضي الله عنها لنهوضه دون استراحة ولأنها لم تسمع ما أنزل عليه فسألته: لِمَ قمت! ألا ترتاح قليلاً؟.

فرد عليها رسول الله ﷺ قائلاً:

«مضى زمن النوم يا خديجة!» وذكر لها ما أوحي به إليه

وبعد هذه الحادثة بمدة قصيرة جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فأخذه وعلمه الوضوء وعلمه الصلاة أيضًا. وأسعد الحق عز وجل رسوله ﷺ بأن أمره بالصلاة التي تُروّحُ عن قلبه. وأراد رسول الله ﷺ أن يسعد معه زوجته فجاء إلى السيدة خديجة رضي الله عنها فتوضأ ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صلى به جبريل فصلت بصلاته. (ابن إسحاق، ص، ١١٧؛ ابن هشام، جـ ١، ٢٦٢ – ٢٦٣)

المسلمون الأوائل

لقد كان رسول الله ﷺ هو أول من آمن بالوحي الذي أنزله الله تعالى على بني البشر. وفي هذا الشأن تقول الآية الكريمة:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة، ٢٨٥)

وقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر، ١١ - ١٢)

وبعد رسول الله ﷺ كانت زوجته العفيفة السيدة خديجة رضي الله عنها أول من أسلم من الناس. وعندما أسلمت السيدة خديجة أسلمت بنات النبي ﷺ وهن السيدة رقية، والسيدة أم كلثوم، والسيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنهن) (ابن سعد، جـ٨، ٣٦)

وبدأ رسول الله ﷺ يبلغ دين ربه تعالى لأقرب أصدقائه ومن يثق بهم سراً، ولكنه في كثير من الأحيان كان يواجه استهزاء قومه وسخريتهم وآذاهم ويعود إلى منزله حزينًا مهمومًا. وفي كل هذه الأحوال كانت السيدة خديجة رضي الله عنها أكبر معين له، وكانت كلماتها تذهب عنه أحزانه، ويكون فيها العزاء والتسلية والدعم. وهكذا كان الحق عز وجل بعون إلهي ييسر مهمة رسوله الحبيب ﷺ.

وذات يوم رأى عليٌّ كرم الله وجهه النبي ﷺ ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سراً، فقال:

ما هذا؟

فقال رسول الله ﷺ:

«**دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وإلى الكفر باللاتِ والعزّى**»،

فقال علي رضي الله عنه:

هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدّث أبا طالب،

وكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له:

«**يا عليّ إذا لم تُسلِمْ فاكتم هذا**»،

فمكث ليلته. ثم إن الله تبارك وتعالى هداه للإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ فأسلم. وكان رسول الله ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مستخفياً

من أبيه أبي طالب وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.

وفي يوم عثر عليهما أبو طالب وهما يصليان ، فقال لرسول الله ﷺ:

يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟

قال ﷺ: «**أَيْ عَمِّ ، هَذَا دِينُ اللَّهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ وَدِينُ رُسُلِهِ ، وَدِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ . وَأَنْتَ يَا عَمُّ أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى ، وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ**» أو كما قال ﷺ

فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلصوا إليك بشيء تكرهه ما بقيت. وقال لعلي: أي بني! ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

فقال : يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير فالزمه.(ابن هشام، جـ١، ٢٦٥)

ثم دخل زيد بن حارثة رضي الله عنه الإسلام بعد سيدنا علي رضي الله عنه. ولم يفترق عن خدمة رسول الله ﷺ أبدًا وظل إلى جانبه. حتى أنه في أثناء ذهاب رسول الله ﷺ إلى الطائف كان بجانبه، وصنع من جسده درعًا يحمي به جسد رسول الله ﷺ من الحجارة التي كانت تلقى عليه حتى سال الدم منه، ولكنه حمى رسول الله ﷺ، وهكذا أصبح زيد رضي الله عنه في عناية وحب الرسول ﷺ.

وإذا ما جئنا لأبي بكر رضي الله عنه فإنه كان صديقًا لرسول الله ﷺ قبل البعثة. ومنذ الطفولة كان يعرف صدق الرسول ﷺ وأمانته وجمال أخلاقه، وكان يعرف أن أي شخص لا يكذب قط على البشر بسبب أخلاقه العالية يستحيل عليه أن يكذب على الحق عز وجل، لذا فإنه لم يتردد أبدًا بسبب هذا عندما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام. (ابن كثير، البداية، جـ٣، ٧٨)

ولم يفرح رسول الله ﷺ أبدًا بقدر فرحه يوم دخل أبو بكر الإسلام، وعندما دخل أبو بكر رضي الله عنه في الإسلام أعلن إسلامه صراحة دون خشية أو خوف، ودعا الآخرين إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله ﷺ. (ابن كثير، البداية، جـ٣، ٨٠ – ٨١)

وإلى جانب أنه كان من أوائل من دخل في الإسلام فإنه استحق عن جدارة لقب "**الصديق**" بسبب إيمانه العميق الذي لا يخالطه شك أو ريبة. وطوال سنوات إسلامه لم يدخر أي جهد أو تضحية معنوية ومادية في سبيل نشر هذا الدين والعمل على رفعته، وبذل كل ما يملك في هذا الطريق العلوي.

وفضلاً عمن ذكرنا قصصهم فيما سبق فقد نال كل من أبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأسماء بنت أبي بكر، وخباب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وزوجته أسماء بنت عميس، وأبو حذيفة، وعامر بن فهيرة ﷺ تشرّفوا بِأن يكونوا من المسلمين الأوائل.

دار الأرقم: أول مركز لتربية المسلمين وتعليمهم

ظل رسول الله ﷺ ثلاث سنوات يبلغ دعوته للإسلام سرًّا، وكان يطلب ممن رفضوا دعوته ألا يعلنوا هذا الأمر لأحد من الناس. ولم يكن رسول الله ﷺ يدعو الناس سرًّا طوال الثلاث سنوات الأولى من البعثة الشريفة خوفًا من التعرض للأذى أو خشية التضييق عليه؛ بل كان يفعل ذلك سعيًا منه لتلمس أفضل الطرق لنشر هذا الدين. لأن أكثر من دخل في هذا الدين كانوا من الفقراء والضعفاء، فلو جهر هؤلاء بإسلامهم لكان ذلك سبباً لهلاكهم وتعرضهم للإيذاء، ولكان هذا سبباً في محو هذا الدين وفنائه.

وبعد أن دخل الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ الإسلام في السنة الأولى للبعثة بدأ الصحابة الكرام يجتمعون سرًّا في منزله. وكانت دار الأرقم التي عرفت أيضًا بـ "دار الإسلام" توجد بالقرب من جبل الصفا في مكة.

وكان رسول الله ﷺ يجتمع في هذا المنزل المبارك سرًّا حذرًا من مشركي مكة، ويعلّمهم الإسلام لمن يأتي إليه هناك، ويقرأ عليهم القرآن الكريم ويعلمه آياته، وفيه أيضًا كان يقيم الصلاة معهم، وقد اعتنق كثير من الناس الإسلام في ذلك المنزل المبارك.

وهذا المنزل الذي شهد دخول عمر بن الخطاب ﷺ الإسلام في العام السادس للبعثة قدم خدمات جليلة في تبليغ الإسلام، وإعداد المسلمين وتربيتهم، وقد أوقف الأرقم ﷺ هذا المنزل بعد ذلك. وفي عصرنا الحاضر قامت المملكة العربية السعودية بهدم دار الأرقم وضمتها إلى ساحة الحرم الشريف وأطلقت على الباب الموجود في مكانه اليوم اسم "**دار الأرقم**".

والخلاصة أن المنهج الواجب اتباعه والطريق الواجب سلوكه في النضال والجهاد الإسلامي الذي سيستمر حتى يوم القيامة يجب أن يتم تنفيذه في ضوء تلك التطبيقات التي قام بها رسول الله ﷺ، ويجب على كل الحركات التي تسعى لتوصيل الإسلام إلى أماكن لم يصلها أبدًا لإحياء الإسلام من جديد أن تعطي أهمية قصوى لجهود التربية والتعليم تلك.

السنة الرابعة للبعثة الشريفة

فاصدع بما تؤمر: وأنذِر عشيرتك الأقربين

بعد الدعوة السرية التي استمرت ثلاث سنوات أمر الحق ﷻ رسوله ﷺ في السنة الرابعة للبعثة بالجهر بالدعوة الإسلامية فقال:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِين. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِين﴾ (الحجر، ٩٤، ٩٥)

وفي هذه الآيات الكريمة أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يبلغ دعوة الله للناس جهرًا، وبدأ رسول الله ﷺ يدعو الناس جهرًا، قائلاً لهم:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف، ١٥٨)

وكان رسول الله ﷺ يفكر أنه حتماً سيدعو الناس إلى الإسلام جهرًا ولكنه ما كان يدري من أين يبدأ الإعلان والجهر حتى جاءه الوحي في تلك السنة أيضاً يقول له:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء، ٢١٤)

وامتثل رسول الله ﷺ للأمر الإلهي وبدأ يدعو عشيرته الأقربين للإيمان والإسلام، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى بيته وأعد لهم طعامًا، وبعد أن فرغوا من طعامهم قال لهم:

«...وإنى قد جِئتُكُمْ؟ خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي...»

فأحجم القوم عنها جميعا. فقام إليه سيدنا عليٌّ ؓ وكان ما يزال طفلاً ولكنه تشرف بأن يكون في قافلة المؤمنين الأوائل وقال:

أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليهم، فأخذ برقبة علي وقال:

«إِنَّ هَذَا أَخِي وَكَذَا وَكَذَا فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»

فقام القوم يضحكون (انظر: ابن كثير، السيرة، جـ١، ص ٤٥٩؛ أحمد، المسند، جـ١، ص١١١، ٢٥٢)

وعلى الرغم مِن أنَّ أحداً من أقاربه ﷺ لم يبد اهتمامًا بقبول هذا الدين الجديد للوهلة الأولى إلا أن عزيمة رسول الله ﷺ لم تفتر، وعزمه لم يلنْ لأن الحق ﷻ قال له:

﴿يس. وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (يس، ١ - ٤)

وقال له أيضًا:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ، ٢٨)

ومثلما تخبرنا تلك الآيات الكريمة فإن رسول الله ﷺ كان يختلف عن الأنبياء والرسل السابقين في أنه بعث للناس كافة.

وقد عبر رسول الله ﷺ عن هذا الأمر في حديث شريف حيث يقول:

«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي:

١. نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،
٢. وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ،
٣. وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
٤. وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ،
٥. وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» (انظر البخاري، التيمم،١/ ٣٣٥)

إن محيط الأقارب الذي يعيش فيه الإنسان يكون أقرب إلى تصديقه مقارنة بمن لم يمت لهم بصلة قرابة، لأنهم يعرفونه عن قرب ويعرفون صدقه وأمانته. وعندما يوضع في الحسبان أقارب الرسول ﷺ الذين اعتنقوا الإسلام وقبلوا دعوته يتضح لنا سبب انتشار الإسلام في المجتمع في زمن قصير نسبيًا. لأن أقاربه لو لم يصدقوه ويؤمنوا بدعوته ورسالته لكان من الصعوبة بمكان أن يؤمن به الآخرون ويصدقوه، ولهذا السبب نجد أن الله ﷻ قد أمر رسوله ﷺ بدعوة عشيرته الأقربين.

دعوة أهل مكة للإسلام على جبل الصفا

إن رسول الله ﷺ الذي أمره الحق ﷻ أن يبلغ دعوته لعشيرته الأقربين قد صعد ذات يوم على جبل الصفا، وأخذ ينادي على قبيلة قريش فهرع القوم إليه حتى جاءوا إلى جبل الصفا، وعندما اجتمعوا إليه وقف على صخرة عالية وخاطبهم قائلاً:

«أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»

ودون أدنى تفكير رد القوم عليه قائلين:

نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً وما عهدنا عليك كذبًا قط.

وعندما أخذ رسول الله ﷺ منهم هذا التصديق والإقرار وسجل عليهم هذا الإعتراف أخبرهم بحقيقة الأمر فقال لهم:

«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي زُهْرَةَ حَتَّى عَدَّدَ الْأَفْخَاذَ مِنْ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَنْفَعَةً وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيبًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» (انظر: البخاري، التفسير، ٢٦؛ أحمد، جـ ١، ٢٨١؛ ابن سعد، ٢١)

ولم يعترض على حديث رسول الله ﷺ أحد إلا أبا لهب (عليه لعنة الله تعالى) فقد اعترض عليه وسبه قائلاً له:

تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟!

فانكسر خاطر الرسول ﷺ لهذه الكلمات وهذا الهجاء فأنزل الحق ﷻ فيه «سورة المسد» التي قال الحق فيها:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد، ١ – ٥) (البخاري، التفسير، ٢٦/ ٢، ٣٤/ ٢، ١١١/ ١؛ مسلم، الإيمان، ٣٥٥)

وقد ذُكرت زوجة أبي لهب في تلك السورة لأنها كانت مثل زوجها تضع الأشواك في طريق رسول الله ﷺ وتؤذيه.

وقد حملت هذه السورة في نفس الوقت قيمة مهمة تمثلت في أنها لم تضع اعتبارًا لقرابة النسب والعرق في حد ذاتها كتلك التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين أبي لهب. وأوضحت أن الرابطة الروحية هي الأهم؛ لأن العرق لا يكون في الأرواح، بل هو خاصية خاصة بالجسد والجسد سيفنى في يوم من الأيام في التراب.

وبسبب بذل رسول الله ﷺ وعطائه دخل الإسلام عماته السيدة صفية والسيدة عاتكة وأبو رافع مولى عمه العباس، وأبو ذر وأخوه عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

وكان أبو ذر رضي الله عنه من قبيلة غفار وكان لا يعبد الأصنام في الجاهلية ويحكي قصة دخوله الإسلام فيقول:

«كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي،

فقلت لأخي أنيس: انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتني بخبره، فانطلق فلقيه ثم رجع،

فقلت: ما صنعت؟

قال: لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله.

قلت: فما يقول الناس؟

قال: يقولون شاعر، وكاهن، وساحر. وكان أنيس أحد الشعراء.

قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم. ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر. والله! إنه لصادق، وإنهم لكاذبون. والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر.

فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جراباً وعصاً، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، واشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد.

فمر بي علي رضي الله عنه فقال: كأن الرجل غريب؟

قلت: نعم،

قال: فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه، لا يسألني عن شيء ولا أخبره. فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء. فمر بي علي رضي الله عنه،

فقال: أما آن للرجل يعرف منزله بعد؟

قال: قلت: لا،

قال: انطلق معي،

قال: فقال: ما أمرك، وما أقدمك هذه البلدة؟

قال: قلت له: إن كتمت علي أخبرتك،

قال: فإني أفعل،

قال: قلت له: بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي، فأرسلت أخي ليكلمه، فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه،

فقال له: أما إنك قد رشدت، هذا وجهي إليه فاتبعني، ادخل حيث ادخل، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك، قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت، فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ،

فقلت له: اعرض علي الإسلام، فعرضه فأسلمت مكاني،

فقال لي: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**».

فقلت: والذي بعثك بالحق، لأصرخن بها بين أظهرهم، فجاء إلى المسجد وقريش فيه،

فقال: يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا فضربوا لأموت، فأدركني العباس فأكب علي ثم أقبل عليهم،

فقال: ويلكم، تقتلون رجلاً من غفار، ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني.

فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس،

فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس، وأدركني العباس فأكب علي، وقال مثل مقالته بالأمس. وعندما رآني رسول الله ﷺ على تلك الحال قال ﷺ له:

«**ألم أمنعك من هذا؟**»

قلت: يا رسول الله رغبة تمكنت من قلبي وقد لبيتها. وبقيت مدة بجانب رسول الله ﷺ. وبعد ذلك توجهت إلى رسول الله ﷺ وقلت له: بما تأمرني؟ فأجابه الرسولﷺ :

«**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**» (انظر: البخاري، مناقب الأنصار،٣٣؛ أحمد، المسند، جـ٥، ١٧٤).

وكان فخر الكائنات رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام فكان يغشى الناس في مواسم الحج فيتبع الحجيج في منازلهم في المواسم بأسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز ولم يترك صغيرًا أو كبيرًا، حرًّا أو عبدًا، غنيًّا أو فقيرًا إلا ودعاه للإسلام وحثه على الإيمان بالله تعالى وحده والدخول في دين الإسلام.

(ابن سعد، جـ ١، ٢١٦، ٢١٧)

تصرفات أبي لهب وزوجته تجاه رسول الله ﷺ

وكان منزل رسول الله ﷺ بين منزل أبي لهب ومنزل عقبة بن أبي معيط أحد أعداء الإسلام. وكان هؤلاء يجلبون أنواع القاذورات كلها ويضعونها أمام باب منزله. وكانت هذه التصرفات السيئة للجيران تجرح قلب رسول الله ﷺ الطاهر الحساس.

وكان رسول الله ﷺ يخرج من الباب ويؤنبهم قائلاً لهم:

«**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَيُّ جِوَارٍ هَذَا!!**» ثم يحمل هذا الأذى فيلقيه بالطريق. (ابن سعد، جـ ١، ٢٠١)

وذات يوم رأى سيدنا حمزة رضي الله عنه أبا لهب وهو يضع القاذورات عند باب الرسول ﷺ فأخذ حمزة تلك القاذورات وطرحها على رأس أبي لهب فأخذ أبو لهب ينفض الأذى عن رأسه وهو يسب سيدنا حمزة رضي الله عنه. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٢، ٧٠)

وكانت أم جميل زوجة أبي لهب لا تقل عن زوجها في إيذاء الرسول ﷺ وعداوته. وكانت كل ليلة تحمل العضاة والشوك فتطرحه بالليل في طريق النبي ﷺ حتى تجرح أقدامه. (ابن هشام، جـ١، ٣٧٦؛ القرطبي، جـ٢، ٢٤٠)

وقبل البعثة الشريفة كان عتيبة ابن أبي لهب قد خطب السيدة أم كلثوم وكان أخوه عتبة قد خطب السيدة رقية. فلما نزلت سورة تبت قالت أم جميل لابنيها: لقد صبأت أم كلثوم ورقية. فانفصلا عنهما.

وقال أبو لهب لابنه عتبة:

رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد. وعند ذلك جاء عتيبة إلى نور الوجود ﷺ وقال له: إني كافر بدينك ثم بصق على وجه النبي ﷺ ومزق قميصه وردّ عليه ابنته وطلقها، ثم سافر عتيبة إلى الشام فكان جزاؤه بسبب سوء أدبه أن سلط الله عليه أسدًا فقتله ومزق جسده وهو جالس بين أصحابه. (انظر: ابن سعد، جـ٨، ٣٦ - ٣٧)

وظل رسول الله ﷺ نور الوجود يتعرض لأذى كبيرٍ من المشركين من أمثال أبي لهب ولكنه قابل كل ما لقيه من إيذاء وعنت بالصبر الجميل واستمر يبلغ دعوة ربه.

جهود أهل مكة للمصالحة

إن استمرار رسول الله ﷺ في تبليغ الإسلام دون أن يصرفه أي شيء عن هذا الأمر قد زاد من معاناة المشركين وغضبهم. فبدأ المشركون يصبون جام غضبهم على المسلمين، لأن ذلك الدين الجديد كان يعارض مصالحهم، فهرع هؤلاء على الفور إلى أبي طالب، وقصوا عليه الخبر وطلبوا منه أن يمنع ابن أخيه، لكن أبا طالب تخلص منهم بلطف ولم يقل أي شيء لرسول الله ﷺ.

وبعد مدة عندما رأى المشركون أن شيئاً لم يتغير جاؤوا مرة أخرى إلى أبي طالب وقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا؛ فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

وعندما سمع أبو طالب مقالة قريش بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال له:

يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا فأبقِ علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

ودمعت عين رسول الله ﷺ لأنه كان يعرف أن عمه لو تخلى عن نصرته فإنه لن يستطيع أن يحمي هؤلاء المسلمين الضعفاء. وكان يعرف أيضًا أن هؤلاء المسلمين لا طاقة لهم في مواجهة قريش الأغنياء الأقوياء.

وفي تلك الأثناء ينزل الحق ﷻ عليه آيات تعينه على تجاوز تلك المحنة تقول:

﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً. رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**﴾ (المزمل، ٨-٩)

وعند ذلك ذهب الحزن والغم عن رسول الله ﷺ وقال لعمه أبي طالب تلك الكلمات بشجاعة، تقوم على إيمان لا يتزعزع:

«**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني، و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه**»

ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام. فلما وَلّى ناداه أبو طالب، فقال له:

أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال له :

اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.(ابن كثير، البداية، جـ ٣، ٩٦-٩٧؛ ابن هشام، جـ ١، ٢٧٦ - ٢٧٨)

وقد روى ابن عباس رضي الله عنه أن: الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أنْ لو قد رأينا محمداً قمنا اليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله قال: فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على أبيها فقالت: هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك قال ﷺ:

«**يا بنية أدني وضوءًا**»

فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا:

هو هذا فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا اليه أبصارهم ولم يقم منهم رجل فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال ﷺ:

«**شاهت الوجوه**» قال: فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافرًا.(أحمد، المسند،٣٠٣)

وعقب هذه الحادثة دعا أبو طالب بني هاشم وبني المطلب إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ؛ فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب، عدو الله الملعون.(ابن هشام، جـ ١، ٢٨١؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ٦٥).

وعندما لم تجد المراجعات التي تمت مع أبي طالب نفعاً قرر المشركون أن يذهبوا مباشرة إلى رسول الله ﷺ ليكلموه وعندما جلس إليهم رسول الله ﷺ قالوا:

«يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا من الجن تراه قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك».

وظن هؤلاء المشركون المساكين أن المال والملك والنساء والجاه -والتي لا يستطيع أي إنسان أن يقف بسهولة أمام إغرائها - سوف تصرف رسول الله ﷺ عن دعوته. والحقيقة أن الثروة والشهرة والجاه التي يمكن بسهولة أن تحيد الإنسان عن طريقه تمثل ثلاث مكائد ومزالق للنفس البشرية. ولكن كيف لم يدرك هؤلاء أن هذه الدنيا لم يكن لها مكان في أي وقت في حياة رسول الله ﷺ النورانية؟!

لذا كان جواب رسول الله ﷺ عليهم إعلاناً إليهم بهذه الحقيقة حين قال:

«مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لكم بشيرا وَنَذِيرا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ». (ابن كثير، البداية، جـ٣، ٩٩-١٠٠)

أما المشركون فلم يدركوا كنه هذه الدعوة العلوية بسبب دناءة نفوسهم لذا استمروا في غيِّهم، حتى أنهم طلبوا منه ﷺ أن يعبد أصنامهم ،وعند ذلك نزلت آيات بينات تصف رسول الله ﷺ وتوضح رده فيقول الله ﷻ:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر، ٦٦)

ويقول الله ﷻ أيضاً:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ﴾ (الرعد، ٣٦)

وأمام تلك الثقة التي لا تهتز، والصلابة في الحق التي لا تلين طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يجد حلاً لمسألة تسفيه الأصنام وتحقيرها، فطلبوا من رسول الله ﷺ ألا يسفه أصنامهم. وعند ذلك أمره الحق ﷻ فقال:

﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم، ٨ - ٩)

وأوضح له الحق ﷻ ما سوف يلاقيه إن امتثل لهم ووافق على ما يطلبون فقال:

﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ (الإسراء: ٧٤-٧٥)

ويعني هذا أن التساهل والتسامح في عقيدة التوحيد هو أمر ممنوع وغير مسموح به حتى في أشد أوقات المحنة. لأن خراب الدين من أساسه يكمن في هذا الأمر. وكانت هذه آمال المشركين السيئة. ولكن طالما أنهم لم يصلوا إلى قمة ما يريدون لذا فليسعوا لتحقيق مآربهم خطوة خطوة. وهكذا حاولوا أن يحموا الأصنام التي صنعوها فذهبوا إلى رسول الله ﷺ بهذا العرض المضحك وقالوا له:

«يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه».

ولكن القرآن الكريم رد على عرضهم هذا غير المنطقي فقال:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون، ١ - ٦) (ابن هشام، جـ ١، ٣٨٦)

اتهامات لرسول الله ﷺ وللقرآن

لقد هانت وضَعُفت يد المشركين وحاروا فيما يفعلونه مع رسول الله ﷺ وزاد حمقهم هذه المرة حتى أنهم ادعوا أن القرآن الكريم يعلمه غلام نصراني لرسول الله ﷺ رغم أنهم يعرفون أن رسول الله ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن لدى هؤلاء المشركين أدنى مسحة من تفكير أو تدبر فكيف يكون لعبد رومي لا يعرف العربية وغير صاحب معرفة دينية أن يؤسس لقواعد دين عالي القدر والشأن كدين الإسلام؟! وكيف له أن ينسب هذا الشرف لغيره؟! ولماذا ظل هذا العبد على مسيحيته ولم يسلم؟!

وقد رد القرآن على هذه الإتهامات التي لا أساس لها فقال الله ﷻ:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل، ١٠٣)

وقال الله ﷻ أيضاً:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت، ٤٨)

فضلاً عن ذلك فقد أمر الحق ﷻ رسوله ﷺ بألا يلتفت ولا يتأثر بهذه الاتهامات الباطلة للمشركين فقال:

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ. أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور، ٢٩ - ٣١)

وقد تلمس المشركون كل طريق لاتهام رسول الله ﷺ واتهام القرآن، ومع أنهم كانوا يعرفون إلا أنهم حادوا عن سبيل الرشاد واتبعوا سبيل الغي، لذا فقد اجتمع نفر من كبار رجال قريش، وكان معهم الوليد بن المغيرة وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم:

يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقلْ وأقمْ لنا رأيًا نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا أسمعْ.

قالوا: نقول كاهن؛

قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه؛

قالوا: فنقول: مجنون؛

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته؛

قالوا: فنقول: شاعر؛

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛

قالوا: فنقول: ساحر؛

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم؛

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لغَدَق، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء

وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.(ابن الجوزي، جـ٨، ٤٠٣-٤٠٤؛ الحاكم، جـ٢، ٥٠٥؛ الواحدي، ص٤٦٨)

وقد حاول المشركون الذين لم يحققوا ما يريدون بالاتهامات التي اتهموا بها القرآن الكريم استهداف شخص رسول الله ﷺ المبارك. وقد تمثلت مجموعة الرافضين لرسول الله ﷺ في طائفة من الأثرياء المرفهين، وعلية القوم المغرورين مثلما كان الحال مع الأنبياء السابقين يقول الحق ﷻ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ، ٣٤ - ٣٥)

فمثلاً كان أبو لهب -الذي نزلت في شأنه سورة تبت - يقول:

«لا لدين يساويني بالآخرين!»

وكان أبو جهل ألد أعداء رسول الله ﷺ والإسلام يقول:

«إني أعاهد الله لأجلسن لمحمد غداً بحجر ما أُطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه».

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو . فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل. فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا لونه، يملؤه الرعب، قد يـبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، فقام إليه رجال قريش،

فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟!

قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل أنيابه لفحل قط، فهمَّ بي أن يأكلني.(ابن هشام، جـ١، ٣١٨؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ٩٢-٩٣)

وكان ذلك لأن الله تعالى يحمي عبده ورسوله ﷺ ويعلي من قدره وشأنه دائما.

فترة التعذيب

لم يستطع المشركون الحصول على أية نتيجة من العروض التي قدموها لأبي طالب. كما أنهم لم يحصلوا على أي تنازل من رسول الله ﷺ، لذا فقد شرعوا يتلمسون كل وسيلة لإلحاق الأذى بالمسلمين.

وفي بداية الأمر لم يتعرض من ينتسبون إلى قبائل وعشائر كبيرة للأذى، وكان الجواري والعبيد والضعفاء هم من تعرضوا للكثير من الأذى ولم يدخر المشركون أية وسيلة لتعذيبهم.

وكان سيدنا خباب بن الأرتِّ ﷺ أحد هؤلاء الذين تعذبوا فكان يؤتى به فيلصقون ظهره العاري بالحجارة المحماة حتى ذهب لحمه، وكانت تلك النار تنطفئ من دهنه الذي يسيل. وكان خباب يعمل حدادًا وكان له دين لدي بعض المشركين، وعندما أراد أن يسترد دينه منهم.

قال له: أحد المشركين: سمعت أنك صبأت واتبعت محمداً أكفر بمحمد أولا نعطيك دينك بعد ذلك.

لكن خباب ﷺ لم يلتفت إلى منفعة دنيوية أو مكسب مادي فأعلن إسلامه دون خشية أو وجل، ورد عليه في سكينة الإيمان:

"ما صبأت وإنما آمنت بالله وحده لا شريك له ونبذت أصنامكم وشهدت أن محمدًا عبد الله ورسوله، والله ما أترك دينه ما حييت".

ويحكي سيدنا خباب ﷺ تلك الحادثة فيقول:

جئت العاصي بن وائل أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال:

لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ،

فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث،

قال: وإني لميت ثم مبعوث؟

قلت: نعم،

قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه الآيات:

﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً. أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً. كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَداً . وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾ (مريم، ٧٧-٨٠) (انظر: البخاري، التفسير٣/ ١٩؛ مسلم، المنافقين،٣٥-٣٦)

وكان سيدنا بلال بن رباح ﷺ واحدًا من أشد من تعرض لعذاب المشركين وكان أمية بن خلف يعذبه عذابًا لا يخطر على البال، فكان يجعله ينام على الحجارة المستعرة، والرمال الملتهبة، ويضع الأحجار الثقيلة على بطنه، وكان الغلمان يخرجون به في الظهيرة الشديدة الحر فيسيرون به في طرقات مكة.

وكانوا يلبسون بلالاً قميصًا من حديد بعد أن تركوه عطشاناً طوال اليوم، وكانوا يضعونه فوق الرمال الساخنة تحت حر الشمس المحرقة، وكانوا يتركونه هناك حتى يسيل دهنه ويحترق جلده.

ورغم أن المشركين استعملوا معه كل وسائل التعذيب إلا أنه لم يقل كلمة واحدة مما يريدون، وكان يردد دائما كلمة واحدة هي «أحدٌ ... أَحَد» (أحمد، جـ١، ٤٠٤؛ ابن سعد، جـ٣، ٢٣٣)

وليت الأمر توقف عند تعذيب وإيذاء المسلمين فقط، بل تعداه لقتل الصحابة الكرام المسلمين فسيدنا ياسر والد عمار ﷺ ربطوا قدمه في ناقة وربطوا قدمه الأخرى في ناقة ثانية ومزقوه بظلم وجبروت.

وهذه السيدة سمية أم عمار ﷺ بعد أن تعرضت لتعذيب وحشي تستشهد بشكل مفجع بعد أن طعنت بخنجر، وهكذا أصبحت عائلة ياسر ﷺ أول شهداء في الإسلام.

وذات يوم شدد المشركون العذاب على عمار ﷺ بالحر تارة، وبوضع الصخر الملتهب على صدره تارة وبالتغريق تارة أخرى، وقالوا له: لا نتركك حتى تسب محمدًا وتقول في اللات والعزى خيرًا ففعل. فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ بأن عمارًا قد كفر. وجاء عمار إلى النبي ﷺ يبكي،

فقال ﷺ: «**مَا وَرَاءَكَ؟**»

قال شر يا رسول الله ﷺ: كان الأمر كذا وكذا

قال ﷺ: «**فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟**»

قال: أجده مطمئناً بالإيمان»

وعند ذلك مسح رسول الله ﷺ دموع عينيه وقال له:

«**فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ**».

وعقب تلك الحادثة نزل قوله تعالى:

﴿**مَن كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (النحل، ١٠٦) (ابن سعد، جـ٣، ٢٤٩؛ ابن الاثير، جـ٢، ٦٧؛ الهيثمي، جـ٩، ٢٩٥؛ الواحدي، ٢٨٨–٢٨٩)

وهذه الحادثة هي دليل شرعي على أن قول كلمة الكفر باللسان فقط دون اليقين بها جائز في مواجهة خطر الموت ولكنه غير جائز فيما عدا ذلك الموقف.

وقد تعرض كثير من المسلمين والصحابة الكرام العظماء لهذه المحنة والضيق والتعذيب الذي لا يصدقه عقل. فكان منهم: عامر بن فهيرة، وأبو فكيهة، والمقداد بن عمرو، وأم أبيس، والسيدة النهدية وابنتها لبنية ﷺ.

فكان المشركون يجردونهم من الثياب، ويربطون أقدامهم بالأغلال ويسحبونهم في الصحراء تحت هجير الشمس المحرقة القائظة، وكانوا يضعون الأحجار الكبيرة عليهم. حتى أن كثيرًا منهم كانوا يفقدون شعورهم ويغمى عليهم من شدة التعذيب، ومن هول ما لاقوه من شتى أنواع الاضطهاد. (ابن ماجة، المقدمة، جـ٢؛ أحمد، جـ١، ٤٠٤)

وكان كل المؤمنين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ يحزنون بشدة لهذا الموقف، ولكن لم يكن لديهم ما يفعلونه في تلك اللحظة، اللهم ما كان من أبي بكر ﷺ رمز الصدق والإيمان الذي قام بشراء سبعة من العبيد من بينهم بلال بن رباح ﷺ وحررهم وأعتقهم وخلصهم من هذا العذاب المرير.

وكان تعذيب المشركين يزداد يومًا بعد يوم حتى أن الصحابة الكبار أمثال أبي بكر، والزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، ومصعب بن عمير ﷺ بدأ ينالهم نصيب من العذاب.

وكان المشركون يثيرون طائفة من سفهاء مكة ليهجموا على رسول الله ﷺ، وكانوا يؤذونه بشتى أنواع الإيذاء، ويفترون عليه الكذب، ويدعون بأنه شاعر وساحر وكاهن أو مجنون. (ابن هشام، جـ١، ٣٠٨ - ٣١٠)

وقد ذكر عبد الله بن عمرو ﷺ بعضًا مما لاقاه رسول الله ﷺ فقال:

«بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة؛ إذْ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» (البخاري، التفسير، ٤٠)

ومرة أخرى يحكي عبد الله بن مسعود ﷺ فيقول:

«كان النبي ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسَلاَ جَزُور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغنى شيئًا، لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعضهم أي يتمايل بعضهم على بعض مرحًا وبطرًا.

وظل رسول الله ﷺ ساجدًا، لا يرفع رأسه، حتى جاءته ابنته فاطمة ﷺ، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال:

«اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثلاث مرات،

فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم. ثم سمّى:

«اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ».

فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدّ رسول الله ﷺ صرعى في القَلِيب، قليب بدر والقليب هو البئر الذي ألقى فيه جثث قتلى الكفار في معركة بدر وكانوا سبعين رجلاً. (انظر: البخاري، الصلاة، ١٠٩؛ الجهاد، ٩٨، الجزية، ٢١؛ مسلم، الجهاد، ١٠٧)

أما أبو جهل ألد أعداء الإسلام فكان إذا سمع بأن أحداً دخل الإسلام من الأغنياء الأقوياء له شرف ومنعة، أنَّبه وأخزاه. وقال:

«تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولَنُفيِّلَنّ رأيك، ولنضعن شرفك»؛ وإن كان تاجرًا قال: والله لَنُكسدنّ تجارتك، ولنهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفاًضربه وأغرى به» .

وذات مرة قيل لابن عباس رضي الله عنهما:

«أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟

قال نعم. والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله!

فيقول: نعم. حتى إن الجُعل(الخنفساء) ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم» (ابن هشام، جـ١، ٣٣٩-٣٤٣؛ ابن سعد، جـ٣، ٢٣٣؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ١٠٨)

ورغم كل أنواع التعذيب والمظالم تلك، إلا أن رسول الله ﷺ لم يقبل التصالح أو المهادنة معهم كما يريدون، ولم يقبل التنازل أبدًا عن دعوة التوحيد وعن الدين.

ونحن أيضًا يجب علينا أن ندرك أن نعمة الإسلام قد وصلت إلينا اليوم بعد أن تعرض آلاف الأشخاص للإيذاء والتضحية في سبيل توصيل هذا الدين، ويجب أن نعرف قيمة هذه النعمة.

إن الله تعالى لو أراد لسهل انتشار الإسلام، ولجنب المسلمين شتى أنواع الإيذاء والعذاب، ولكنه أراد أن تبذل التضحيات في سبيل هذا الدين، وذلك ليبتلي المسلمين فيُعرف المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب. وفي ذلك يقول الحق ﷻ:

﴿الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت، ١ – ٣)

وقال عز من قائل:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران،١٤٢)

وقال أيضًا:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة، ٢١٤)

والخلاصة أن الأنبياء والعباد الصادقين قد تعرضوا كلهم لتلك المحن والإبتلاءات، حتى أن بعضهم لم يستطع تحمل تلك الابتلاءات فسقط شهيدًا، ولهذا السبب فإن على كل مسلم ألا يقنط ويفقد الأمل في مواجهة شتى الصعاب والمشقات في سبيل الدعوة ونصرة الإسلام.

تلقين الثبات والصبر للمسلمين

كان رسول الله ﷺ يحزن في بعض الأحيان لتلك التصرفات السيئة التي كانت تتم معه. وكان يُحزن قلبه سلوكيات هؤلاء البشر الذين كانوا يعارضون بكل ما لديهم من قوة إبلاغ دعوة الله تعالى إليهم وهدايتهم. وكان رسول الله ﷺ يعيش أحيانًا لحظات صعبة وكان بالتأكيد يحتاج لتسلية أو عزاء.

ولم يرد الحق ﷻ لرسوله أن يحزن فكان يعزيه ويقويه بالوحي. يقول الحق ﷻ:

﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾ (الإسراء، ٨٧)

ويقول أيضًا:

﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل، ٧٠)

وكان الحق يوصي رسوله ﷺ بالصبر واللجوء للعبادة فيقول له:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾ (ق، ٣٩)

وكان رسول الله ﷺ الذي تقوى عزمه وسعيه بهذه الآيات الكريمة يستمع إلى أنات وعذابات أصحابه الكرام، وكان يداوي جراح قلوبهم.

يحكي سيدنا خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه هذا الموقف فيقول:

شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسِّد بردة له في ظل الكعبة،

فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟

فقال رسول الله ﷺ:

«قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». (البخاري، مناقب الأنصار، ٢٩)

ثم قرأ بعد ذلك قوله تعالى:

﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ. لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللهِ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ (آل عمران، ١٩٦ – ١٩٨)

وكان الحق ﷻ الذي منح سبل السعادة بكل جوانبها للمؤمنين يقول لرسوله:

﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (الإسراء، ٨١)

ولكنه كلفهم بإعلاء الحق وبذل كل ما لديهم وما يملكون في سبيل تحقيق هذا الأمر. وبين لهم أن الدنيا ستكون دار ابتلاء وامتحان ومشقة لبني البشر. ولهذا السبب فإن أي إنسان لن يستطيع الوصول إلى النتيجة التي يرغب بها دون أن يبذل كل ما لديه من طاقة وجهد.

وقد بين الحق ﷻ تلك الحقيقة التي انطبقت على سائر الأنبياء فقال:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ﴾ (يوسف، ١١٠)

وقد سعدت قلوب المؤمنين عندما استمعت لهذه الآيات أيما فرح. وكما أنها قوت من عزيمتهم وإصرارهم، فإنها زادت من حنق المشركين وغضبهم. ومع هذا لم يتوقفوا عن إيذاء رسول الله ﷺ وكانوا يبتكرون كل يوم وسيلة جديدة للإيذاء والتعذيب.

وهكذا مرت هذه الثلاث عشرة سنة بآلاف من المشقات والعذابات. وقد بلغ من حرص المشركين وعنادهم أنهم فكروا في فكرة خبيثة دنيئة تمثلت في تجفيف مصدر الوحي.

وكان رسول الله ﷺ أمام تلك الأحداث يلجأ إلى الحق ﷻ وهو صابر محتسبٌ، فكان الحق ﷻ يحفظه ويرعاه. ولكن لم يتحقق الوعد الإلهي المنتظر الذي ذكرته الآيات، ولم تعرف تلك الأزمات طريقا للانتهاء، بل إنها أخذت تزيد، ولكن الله تعالى لم يكن ليسلم حبيبه ورسوله ﷺ ليغرق في بحار الألم والأحزان التي كان يعيش فيها فكان يشد من أزره فيقول له:

﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (إبراهيم، ٤٧)

السنة الخامسة للبعثة

الهجرة إلى الحبشة

أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجرة في مواجهة إيذاء القرشيين الظالمين، لأن المسلمين لم يكونوا يستطيعون إقامة شعائرهم الدينية بحرية، وفضلاً عن ذلك كان لدى المسلمين مهام أخرى تتمثل في نشر الإسلام في البلاد الأخرى.

وعندما سُئل رسول الله ﷺ عن المكان الذي سيهاجرون إليه قال لهم:

«لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» (ابن هشام، جـ ١، ٣٤٣؛ ابن سعد، جـ ١، ٢٠٣ – ٢٠٤)

وقد تشكلت هذه الهجرة الأولى من سبعة عشرَ فردًا اثني عشر رجلاً وخمس نساء. وكانت في شهر رجب من العام الخامس للبعثة. وكان من بين المهاجرين أعلام الصحابة أمثال عثمان بن عفان وزوجته السيدة رقية والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة، وأم سلمة، وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود ﷺ.

وقد سارت قافلة الهجرة تلك سرًّا من مكة حتى وصلت بعون الله تعالى إلى ميناء شعيبة. وكانت هناك في الميناء سفينتان تجاريتان أبحرت بهم إلى الحبشة، وعندما علمت قريش بهجرة المسلمين أسرعت للإمساك بهم ولكن خاب سعيهم لأنهم عندما وصلوا إلى الميناء كانت السفن قد أبحرت إلى الحبشة منذ وقت بعيد. (ابن سعد، جـ ١، ٢٠٤)

وانقطعت عن رسول الله ﷺ أخبار ابنته رقية وزوجها عثمان بن عفان ﷺ لمدة من الزمن فكان رسول الله ﷺ يخرج ليستطلع أخبار أولاده من القادمين من عندهما، حتى جاءت امرأة قرشية من الحبشة فسألها كيف حالهما؟

فقالت: رأيته وقد حملها على حمار وهو يسوق بها يمشي خلفها.

فقال رسول الله ﷺ:

«صحبهما الله، إن كان عثمان بن عفان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط» (علي المتقي، كنز العمال، جـ ١٣، ٦٣)

وقد بقي من هاجر إلى الحبشة هناك لثلاثة أشهر، ذلك أنه قد شاع خبر غير صحيح أن قريشًا قد أسلمت، وعند ذلك قرر المهاجرون العودة مرة أخرى إلى مكة. وكانت هذه القافلة المباركة تتكون من تسعةٍ وثلاثين فردًا ثلاثون من الرجال وتسعة من النساء. وقد وصلت تلك القافلة إلى مكة في شوال من العام الخامس للبعثة.

ولكن عندما وصلوا إلى قرب مكة تبين لهم حقيقة الأمر وأن ما سمعوه لم يكن صحيحًا فقرر بعضهم العودة والرجوع مرة أخرى إلى الحبشة ودخل بعضهم إلى مكة مستخفياً أو في جوار رجل من قريش وحمايته. (ابن هشام، جـ ٢، ٣ – ٨؛ ابن سعد، جـ ١، ٢٠٦؛ الهيثمي، جـ ٦، ٣٣)

حادثة الغرانيق

كان رسول الله ﷺ قد خرج إلى الحرم الشريف في رمضان من نفس العام وأخذ يقرأ فيه سورة النجم وكانت قد نزلت حديثًا. وكان يجلس هناك سادات قريش. وعندما انتهى من السورة ووصل إلى آية السجدة سجد رسول الله ﷺ وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس (البخاري، التفسير، ٤/ ٥٣)

ولكن المشركين لم يسجدوا لله ﷻ وإنما سجدوا لذكر أصنامهم التي كانوا يعبدون في الآيتين التاسعة عشرة والعشرين.

وعقب تلك الحادثة سرت إشاعات تتحدث عن دخول المشركين في الإسلام بسبب سجودهم مع رسول الله ﷺ، ولكن المشركين سجدوا مع المسلمين في نفس اللحظة ولكن كل على نيته.

وبينما كان الأمر على ما ذكرنا فإنه بعد ذلك طرحت حادثة الغرانيق على نحو فيه افتراء وكذب، ذلك أنهم ادعوا أن رسول الله ﷺ قد قرأ من بين آيات هذه السورة تلك الكلمات التي تقول:

«وتلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، ففرح المشركون بذلك لأن رسول الله ﷺ مدح أصنامهم وما يعبدون فسجدوا شكرًا وفرحًا. وكل ذلك افتراء وكذب.

ذلك أن الله تعالى قد عصم رسوله ﷺ من الغفلة والزلات عند أداء وظيفة تبليغ دينه للناس. ولم يكن للشيطان أبدًا بأي حال من الأحوال أن يتدخل في مهمة تبليغ الرسل لرسالاتهم. لأن الله تعالى قد بين في كتابه العزيز أن الشيطان ليس له سلطان على العباد الصالحين فقال:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ (الحجر، ٤٢)

فكيف يُعتقد أن الشيطان قد تدخل في دعوة نور الوجود ﷺ.

وكما أن رسول الله ﷺ قد حُفظ في تبليغ وحي السماء من شتى أنواع القصور والخطأ والزلات، فإن القرآن الكريم أيضاً كان محفوظًا بالحفظ الإلهي من أي تبديل أو تحريف وفي ذلك يقول الحق ﷻ:

﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت، ٤٢)

وقد ذكر القاضي عياض أن:

«هذه الحادثة لم يرد فيها حديث صحيح يعوّلُ عليه، وإن كل الأحاديث التي رويت في شأنها أحاديث منكرة من جهة الرواية والدراية حيث لم يخرجه أحد من أهل الثقة كأصحاب الكتب الستة، ولا رواه ثقة بسند سليم من الاضطراب والعلة بل ولا رواه ثقة بسند متصل أي مرفوعًا أو موقوفًا، بل رواه جماعة مُضلّلة بأسانيد ضعيفة واهية مقطوعة أو موضوعة أو مرفوعة» (القاضي عياض، الشفاء، جـ ٢، ١٣٢)

فضلاً عن ذلك فإن حادثة الغرانيق لا تبدو ممكنة عقلا. لأنه يوجد ادعاء شِرْكيٌّ في الغرانيق بينما الإسلام من اللحظة الأولى جاء ليبلغ عقيدة التوحيد. وكل ادعاء يخالف عقيدة التوحيد التي هي الحجر الأساس في دين الإسلام يعد مخالفًا للواقع شرعاً وعقلاً.

وسورة النجم من بدايتها لنهايتها تحقر من شأن الشرك، وتوضح أن هذه الأصنام ما هي إلا أسماء لا تضر ولا تنفع ، وأن اتباع المشركين لها يعد من قبيل الهوس والظن.

ولعل هذه الآيات التي جاءت في مقدمة السورة هي أبلغ دليل وردٌّ على تلك الفرية إذ يقول الحق ﷻ:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم، ١ - ٤)

وهكذا فإن المسألة كما تبدو هي عبارة عن تلفيقات ذكرها أعداء الإسلام بسبب عداوتهم والبغضاء التي في قلوبهم، لأن هذه المسألة قد أبطلها وضعفها علماء الإسلام من نواحي كثيرة للغاية وأظهروا حقيقة الأمر.

الهجرة الثانية للحبشة

لقد عرف مشركو مكة كيف يواجهون المهاجرين العائدين إلى مكة من الحبشة. ولكنهم قد شعروا بغم وهم كبيرين من انتشار الإسلام خارج مكة، ومن ازدياد قوة المسلمين. وقد أُجبر المسلمون على الهجرة إلى الحبشة للمرة الثانية نتيجة الاشتداد والقسوة على المسلمين في التعذيب. وكانت قافلة

المهاجرين تتشكل هذه المرة من تسعين فردًا سبعة وسبعون من الرجال وثلاث عشرة من النساء. وكان على رأس هذه القافلة جعفر بن أبي طالب الأخ الأكبر لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين).

وقد عبرت السيدة سلمة زوج فخر الكائنات ﷺ وأم المؤمنين عن مدى صواب الهجرة إلى الحبشة فقالت:

«لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه» (أحمد، جـ١، ٢٠١ - ٢٠٢)

السنة السادسة للبعثة

سعي قريش لاستعادة المهاجرين من النجاشي

عندما بلغ مشركي مكة حسنُ المعاملة التي يلاقيها المسلمون في الحبشة في هجرتهم الثانية أصابت قريشاً الحيرة والإرتباك، لأنهم كانوا يفكرون في عجزهم عن منع الإسلام من الإنتشار والتوسع. لذا فقد ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين جلدين، وأن يهدوا النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة.

وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم(الجلد) فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية.

ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي .

فخرجا فقدما على النجاشي فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له:

أيها الملك! إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلم بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فقالت بطارقته حوله:

صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم قال: فغضب النجاشي ثم قال:

لا وايم الله إذا لا أسلمهم اليهما ولا أكاد قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض:

ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا:

نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم. فقام جعفر بن أبي طالبؓ فقال له:

«أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته وعفافه،

فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

فقال له النجاشي:

هل معك مما جاء به عن الله من شيء

فقال له جعفر: نعم

فقال له النجاشي: فاقرأه علي

فقرأ عليه صدراً من كهيعص، فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي:

إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا ولا أكاد.

فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص:

والله لأنبئنهم غدا عيبهم عندهم ثم أستأصل به حضورهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة:

لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم يسألهم عنه، ولم ينزل بالصحابة مثله فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟!

قالوا: نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا،

ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال:

وإن نحرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، والسيوم الآمنون، من سبكم غرم ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي ديراً ذهباً وأني آذيت رجلا منكم -والدير بلسان الحبشة الجعل- ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقاموا عنده بخير دار مع خير جار، فكانوا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.(ابن هشام، جـ١، ٣٥٦-٣٦١؛ أحمد، جـ١، ٢٠٢-٢٠٣؛ الهيثمي، جـ٦، ٢٥-٢٦)

وكانت الأجوبة التي رد بها سيدنا جعفر بن أبي طالبﷺ على النجاشي تمثل نموذجًا جميلاً للترغيب في الإسلام بشأن أين وكيف يتحدث المرء. فعندما طُلب منه أن يقرأ القرآن الكريم لم يختر أي آيات من القرآن الكريم بل اختار الآيات التي تناسب المقام الذي هو فيه يعني، أنه قرأ الجزء الخاص بسيدنا عيسى في سورة مريم. فضلاً عن ذلك فقد أعطى إجابات عقلية ومنطقية على الأكاذيب والافتراءات التي ذكرها المشركون لاستعادتهم. وقال أن الدين الحق الذي جاء به إليهم يأمرهم بالحق والأخلاق الحسنة وأداء الأمانات.

وقد عاد قسم من هؤلاء المهاجرين الذين هاجروا الهجرة الثانية إلى الحبشة بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة، وكانت تلك العودة أثناء صلح الحديبية. أما آخر المهاجرين وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ﷺ فقد عادوا إلى المدينة في أثناء فتح خيبر وقد سعد رسول الله ﷺ وفرح بشدة لعودة جعفر ومن معه رضوان الله عليهم.

إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ

ذات يوم مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا وكان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه رسول الله ﷺ.

وكانت هناك سيدة قد شاهدت ذلك المنظر فذهبت إلى حمزة بن عبدالمطلب ﷺ، وكان قد أقبل متوشحاً قوسه، راجعًا من قنص له، فقالت له: «يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام : وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ.»

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل عند الكعبة نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟! فرد ذلك علي إن استطعت. ولم يستطع أن يقوم له لأنهم كانوا يعرفون أن حمزة ﷺ أعز فتى في قريش، وأشدهم شكيمة.

وبعد ذلك توجه حمزة إلى ابن أخيه سيد العالمين ﷺ فقال:

«يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على مالا أدري ما هو أرشد أم هو غي أمر شديد على نفسي، فحدثني حديثاً فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني»

فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره، فألقى الله تعالى في قلبه الايمان بما قال رسول الله ﷺ، فقال:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله،

أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فاظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول، فكان حمزة ممن أعز الله به الدين.

وكان سيدنا حمزة ﷺ أسن من رسول الله بعامين وكان عمه وأخوه في الرضاعة في نفس الوقت.

(انظر: ابن هشام، جـ١، ٣١٢-٣١٣؛ الحاكم، جـ٣، ٢١٣؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ٨٤)

ونحن نفهمم من تصرف رسول الله ﷺ أنه يجب علينا أن نعلي من مصلحة الدين على حساب مصالحنا الشخصية.

ويوم أسلم حمزة اجتمع النبي ﷺ مع أصحابه فألح أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ في الظهور فقال له:

«**يا أبا بكر إنا قليل**».

فلم يزل أبو بكر الصديق ﷺ يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

وثار المشركون على أبي بكر ﷺ وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين من حديد حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وسال الدم من وجهه من كل مكان، وجاء بنو تيم فخلصوه من أيدي المشركين. وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله وهم لا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة.

فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار،

فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟!

فقالت أمه أم الخير: والله يابني مالي علم بصاحبك.

فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فلما ذهبت إليها جاءت معها أم جميل فلما رأت أبا بكر صريعًا في تلك الحال المزرية صاحت

وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ

قالت: هو سالم صالح.

قال: أين هو،

قالت: في دار ابن الأرقم،

قال: والله لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتي رسول الله ﷺ.

فانتظروا حتى سكن الناس فخرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة فقال أبو بكر:

«بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار».

فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت. (ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٧،٣٢٦؛ ابن كثير، البداية، جـ٣،٨١)

وذات يوم اجتمعت قريش وكان ذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون

فقالوا:انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة.

فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فعرض عليه عدة عروض حتى إذا فرغ عتبة، قال له رسول الله ﷺ:

«أقد فرغت يا أبا الوليد؟»

قال: نعم،

قال: «**فاسمع مني**»؛

قال: أفعل؛

فبدأ رسول الله ﷺ يقرأ سورة فصلت من قوله تعالى:

﴿حم. تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت، ١-٣)

ثم مضى فيها يقرؤها عليه.

فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش! لما قرأ علي محمد:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت،١٣)

أمسكت على فيه وناشدته الرحم أن يكف عني خشية أن ينزل بنا العذاب. يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

قال : هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.(ابن هشام، جـ١، ٣١٣-٣١٤؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ١١١-١١٢)

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصغر من رسول الله ﷺ بثلاث عشرة سنة. وكان نسبه يلتقي مع رسول الله ﷺ في الجد التاسع. وكان المشركون قد اجتمعوا في دار الندوة يخططون لقتل نور الوجود ﷺ واختاروا عمر بن الخطاب للقيام بتلك المهمة، وأرسلوه لقتل رسول الله ﷺ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ. وفي الطريق لقيه نعيم بن عبدالله وكان نعيم قد أسلم، وكان يستخفي بإسلامه خوفًا من

قومه، فقال له: أين تريد يا عمر ؟ فقال: أريد محمدًا الذي فرّق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. فقال له نعيم:

والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال: وأي أهل بيتي؟

قال: زوج أختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتَبِعا محمداً على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفةﷺ، فيها: آيات من القرآن الكريم يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها.

وكان عمر قد سمع حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما،

فلما دخل قال: ما هذه الهَيْنَمة التي سمعت؟

قالا له: ما سمعت شيئا؛

قال: بلى والله، لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه، وبطش بزوج أخته سعيد بن زيد؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها؛

فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها: نعم لقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته:

أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبًا؛ فلما قال ذلك،

قالت له أخته: إنا نخشاك عليها؛

قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها؛ فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه،

فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا طاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وبدأ عمر يقرأ ما في الصحيفة من آيات[١] تقول:

١ يروى أن الآيات التي قرأها عمر بن الخطاب ﷺ كانت أوائل سورة الحديد أو سورة طه.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ . يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ فيها﴾ (الحديد، ١-٧) .

فلما قرأها عمر لم يتمالك نفسه إلا أن قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !.

وقد جذبت بلاغة القرآن وفصاحته نفس عمر بن الخطاب ﷺ وروحه. وتيقن أن تلك الكلمات بما تحمل من حقائق ودلائل لا يمكن أن تصدر عن بشر. واستغرق عمر في تفكير عميق. ولما سمع ذلك خباب كلمات عمر خرج عليه ،

فقال له : يا عمر! والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأُسلم؛

فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر ﷺ سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب؛ فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خَلل الباب فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع،

فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف؛

فقال حمزة بن عبدالمطلب: فأذنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه؛

فقال رسول الله ﷺ: «**إئذن له**»،

فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجمع ردائه، ثم جَبَذه به جبذة شديدة،

وقال ﷺ: «**ما جاء بك يا ابن الخطاب؟**» فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينـزل الله بك قارعة.

فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهم.

ويحكي عمر ﷺ أنه بعد عدة أيام من إسلامه جلس يحدث نفسه فيقول:

«لقد أعلنت إسلامي ولم يُصيبني ما يصيب من أسلم من الضرر والإهانة. ولست أريد أن أبقى في عافية والمسلمون يلاقون ما يلاقون. فتذكرت أن أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت؛ فقلت: أبو جهل. فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إلي أبو جهل، فقال: مرحباً وأهلا بك يا عمر، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به ؛ قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله، وقبح ما جئت به». (ابن هشام، جـ١، ٣٧١).

وبعد ذلك ذهب عمر إلى خاله الوليد بن المغيرة وإلى اثنين من صناديد كفار قريش فطرق عليهم الباب وقال لهم مثلما قال لأبي جهل، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا سوى أنهم أغلقوا الباب في وجهه وانصرفوا عنه.

وقد روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال:

«إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة. ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه» (الهيثمي، جـ٩، ٦٢-٦٣)

أسئلة القسم الثاني

أ- الأسئلة التقليدية

١- ما أسباب ذهاب الرسول ﷺ إلى غار حراء قبل البعثة؟

٢- لماذا تعرض الرسل للظلم والعداء كلما جاء أحدهم لقومه بدين الحق؟

٣- ما الأسباب والحكم في أن يبدأ أول وحي في الإسلام بكلمة اقرأ؟

٤- لماذا لم ينزل القرآن دفعة واحدة ونزل تدريجياً طوال ثلاثة وعشرين عامًا؟

٥- كيف استطاع القرآن الكريم أن يرد على من ادعى أن هذا القرآن نتاج أفكار النبي ﷺ؟

٦- لو لم يكن الرسل معصومين قبل بعثتهم فأي الصعوبات كانت ستواجههم بعد تلقيهم مهمة الرسالة؟

٧- أوضح لماذا اختير الرسل من البشر وليس من الملائكة؟

٨- لو لم يكن رسول الله ﷺ أمياً ما هي الأكاذيب والإفتراءات التي كان سيواجهها؟

٩- كيف سهلت دار الأرقم على المسلمين دعوتهم السّرّية في بداية الدعوة؟

١٠- لماذا كانت القرابة الروحية أكثر أهمية من القرابة العرقية في الإسلام؟

١١- كيف كانت النتائج التي تحدث لو أن رسول الله ﷺ هادن المشركين قليلاً وقبل عرضهم عندما قالوا له: "تعبد آلهتنا عاماً ونعبد إلهك عامًا وبذلك يزول الخلاف فيما بيننا؟

١٢- لماذا بلغ رسول الله ﷺ دعوة الإسلام سرًّا لثلاث سنوات؟

١٣- ما هي الخصوصيات التي أعطيت لرسول الله ﷺ دون غيره من الرسل والأنبياء؟

١٤- ما هي العروض التي قدمها المشركون لرسول الله ﷺ كي يصرفوه عن دعوته؟ وكيف كان جواب رسول الله ﷺ على عروضهم المغرية تلك؟

١٥- لو لم يحفظ المسلمون الأوائل دينهم خشية أن يفقدوا أرواحهم وأموالهم كيف كان الشكل الذي سيأخذه انتشار الإسلام وتوسعه؟

١٦- كيف كان رسول الله ﷺ يتصرف بشكل عام تجاه المشركين والكافرين الذين كانوا يتعرضون له بالظلم والإهانة؟

١٧- ما الذي كان يفعله أي مسلم تجاه المظالم والصعوبات التي كان يتعرض لها؟

١٨- ما هي أسباب هجرة المسلمين الأولى للحبشة؟

١٩- لماذا عارض المشركون هجرة المسلمين؟

ب - أكمل الفراغات التالية :

١- بُعث رسول الله ﷺ وهو في سن ....

٢- أول من آمن برسول الله ﷺ ....

٣- كلمة .... تأتي بمعنى الطاهر النقي كيوم ولدته أمه وتأتي أيضًا بمعنى من لا يقرأ ولا يكتب.

٤- سيدنا .... وزوجته السيدة .... هما أول شهداء الإسلام بسبب تعذيب الكفار.

٥- بدأ رسول الله ﷺ في الدعوة جهرًا في العام .... للبعثة.

٦- هجرة المسلمين الأولى للحبشة تمت في شهر .... للعام .... للبعثة.

٧- تشكلت قافلة الهجرة الأولى للحبشة من سبعة عشر فردًا .... رجلاً و .... نساء.

٨- كانت .... هي المكان الذي يجتمع فيه المسلمون الأوائل للعبادة والتشاور.

٩- المشرك الذي نزلت سورة في حقه عندما قال لرسول الله ﷺ: تبا لك هو .... ، والسورة التي نزلت فيه هي سورة ....

١٠- أول من هاجر في الله مع أهله بعد سيدنا لوط عليه السلام هو ....

جـ- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- أي مما يلي ليست من النتائج التي يمكن أن نستخلصها من الآيات الأولى التي أوحيت لرسول الله ﷺ؟

أ- إن بداية الوحي بكلمة اقرأ هو إشارة إلى أن القراءة أهم عنصر في التفكر.

ب- إن الله تعالى هو الذي يعلم الإنسان في الحقيقة العلم الذي هو نعمة كبيرة!

ج- إن على الإنسان الذي خلق من علق ألا ينسى أصله وعجزه فيصيبه الغرور.

د- إن أي مؤمن يجب عليه أن يبدأ كل عمل باسم ربه الذي خلقه.

٢- أي مما يلي ليست من طرق مجيء الوحي؟

أ- إن يأتي مثل صلصلة الجرس فيكون أشد ما يكون على رسول الله ﷺ.

ب- إن يرى الرؤيا في المنام فتتحقق مثل فلق الصبح في النهار.

ج- إن يعلمه جبريل عليه السلام مباشرة أثناء النوم.

د- إن يأتي جبريل بنفسه فيراه رسول الله ﷺ على صورته الحقيقة.

٣- أي مما يلي ليس من الأحوال التي كان يعيشها رسول الله ﷺ أثناء مجيء الوحي؟

أ- كان يحمر وجهه مثل الوردة ويتعرق جبينه كحبات الندى.

ب- إن يكون جالساً مع أصحابه فيترك المجلس عندما يأتيه الوحي.

ج- إن يطأطئ رأسه و يتنفس بصعوبة.

د- إن يشعر بوطئة الوحي وثقله عليه.

٤- أي من الإجابات التالية لا ترد على ادعاءات بعض رجال العلم الغربيين بشأن أن القرآن الكريم نتاج بشري من خيالات رسول الله ﷺ وأفكاره؟

أ- إن القرآن أعطى معلومات واضحة جدًّا ومفصلة عن قصص الأمم السابقة.

ب- إن رسول الله ﷺ كان في بعض الأحداث يصمت لفترة ويعطيهم الجواب بعد ذلك بينما كان الأمر يتطلب ردًّا على الفور.

ج- هناك فرق واضح في الأسلوب بين آيات القرآن الكريم ومتون الأحاديث.

د- إن رسول الله ﷺ كان رجلا ذكيًّا للغاية وينتسب إلى عائلة عريقة.

٥- **أي من معاني هذه الصفات الخاصة بالنبي ﷺ ليست صحيحة؟**

أ- الصدق يعني عدم الكذب.

ب- الأمانة تعني الوفاء بالعهود.

ج- الفطنة تعني العدل.

د- العصمة هي الوقاية من ارتكاب الذنوب والمعاصي.

٦- **"إن أي مجتمع لا يقوم فيه رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر سيصير مجتمعًا تصبح فيه الخبائث أمرًا طبيعياً. والسوء الذي يمكن منعه في البداية لو ترك لحاله فإنه بعد مدة لن يستطاع منعه. وعندها يفنى الحق إذا ما واجه الباطل وينسى الناس الله تعالى. وتكون النتيجة أن يفنى هذا المجتمع ويهلك تمامًا".**

أي من مستويات المسلم لا يمكن استخراجها من القطعة السابقة؟

أ- أن يتواصى بالمعروف وينهى عن المنكر.

ب- أن يعلم الآخرون ما يعلمه.

ج- أن يكون نموذجًا للآخرين في حياته.

د- أن يعاقب المذنبين بشدة.

٧- **أي مما يلي ليس من الأسباب والحكم في أن يكون رسول الله ﷺ من البشر وليس من الملائكة كما طلب المشركون؟**

أ- لو أرسل الله تعالى ملكا لاعترض المشركون هذه المرة قائلين" كيف لنا أن نعمل ما يعمله ملك ونحن بشر؟

ب- لو أرسل الله تعالى ملكًا لما كانت هناك معجزة في الأشياء الخارقة التي يعملها. ولما أسرع المشركون بالإيمان.

ج- لم يكن لملك أن يكون أسوة حسنة لبشر يختلف عنهم في الخلقة وفي خصائص الحياة.

د- لو كان الرسول ملكا لما رآه كل الناس بالعين المجردة.

٨- **"كان رسول الله ﷺ ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الجسم فخمًا مُفخمًّا، بعيد ما بين المنكبين، معتدل الخلف، عريض الصدر، ضخم العظام والمناحل، أزهر اللون، جسمه ألين من الحرير، طاهر الجسد تفوح منه دائماً ريح المسك إذا عرق. لو صافحه شخص يظل طوال يومه تفوح منه رائحة المسك كأن الوردة قد أخذت رائحته منه. لو مسح على رأس الطفل بيده المباركة تظل رائحة كريمة تفوح من رأس هذا الطفل" أي مما يلي لا ينتظر من شخص قرأ هذه العبارات التي تحكي عن أوصاف الرسول ﷺ الشريفة؟**

أ- أي يعطي أهمية للطهارة الخارجية أكثر من الطهارة الداخلية.

ب- إن تزيد محبته التي يشعر بها تجاه رسول الله ﷺ وتدوم.

ج- إن يشتاق لرؤية رسول الله ﷺ.

د- إن يدرك أن رسول الله ﷺ كان مباركًا وجميلاً من الناحية البدنية.

٩- ما هي الأسباب المشتركة الذي جعلت الصحابة الكرام مثل زيد بن حارثة وأبي بكر وأبي عبيدة بن الجراح وأبي سلمة يقبلون الإسلام عندما بدأ رسول الله ﷺ في تبليغ دعوة الإسلام لعشيرته الأقربين؟

أ- إن هؤلاء الأشخاص كانوا يبحثون عن إيمان ودين جديد.

ب- إنهم كانوا مبهورين بشخصية رسول الله ﷺ قبل البعثة.

ج- إن رسول الله ﷺ كان ينتسب إلى عائلة عريقة النسب.

د- إن هؤلاء المسلمين الأوائل تعرضوا لمصاعب كثيرة بسبب ظلم المشركين.

١٠- أي مما يلي ليس من أسباب أن يبدأ رسول الله ﷺ دعوته من عشيرته الأقربين؟

أ- إن الإنتشار الذي يبدأ بالتحرك من أقاربه سيكون أكثر سرعة.

ب- إن تصديق أقاربه له سيسهل من قبول الآخرين لما جاء به.

ج- إنه كرسول أرسل أولاً لأقاربه.

د- إن أقاربه يعرفونه أكثر عن قرب.

١١- أي مما سيأتي ليس من الأسباب التي دعت رسول الله ﷺ لتبليغ الإسلام سرًّا في السنوات الثلاث الأولى؟

أ- منع المنافقين من التسلل إلى صفوف المسلمين.

ب- دعم انتشار الإسلام بهدوء وسلامة.

ج- حتى لا يُلقى بالمسلمين الجدد إلى التهلكة.

د- إن يمنع المشركون من عدواتهم للمسلمين.

١٢- قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" أي من الأصول التالية لا يمكن أن يستنتج من هذا الحديث الشريف؟

أ- الشخص الذي لا يريد أن تتم الدعوة معه يخرج عن الدين لأن الدعوة أمر إلهي.

ب- أفضل الطرق لمنع المنكر يتم بالفعل ثم القول ثم الدعاء والشعور.

ج- التبليغ والدعوة هو أفكار مهمة حتى أنها تؤثر في الموضع الإيماني للشخص.

د- الدعوة هي عبادة وفرض عين على كل فرد طالما لديه القدرة والكفاءة.

١٣- أي مما يلي لا يعد من خصائص من عرفهم الحديث الشريف الذي يقول: "إن أحب عباد الله إلى الله الذين يُحَبِّبُون الله إلى الناس ويُحَبِّبُون الناس إلى الله"؟

أ- ينصحون ويبلغون الناس

ب- ينفذون سنة رسول الله ﷺ.

ج- يذكرون الله تعالى كثيرًا.

د- يوفرون احتياجات جميع الفقراء.

١٤- يقول رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: "لتأمرن بالمعروف ولتنهوُن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" - فأي معنى لا يمكن أن يستخلص ويستنتج من هذا الحديث السابق؟

أ- إن المجتمعات التي تتخلى عن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستحق العقاب الإلهي.

ب- قبول الدعاء مرهون بعدم ارتكاب البشر الذين يشكلون هذا المجتمع للمعاصي.

ج- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي وظيفة عبودية لازمة وضرورية.

د- إن المجتمعات التي لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر من المؤكد أنها ستهلك وتفنى مع الوقت.

١٥- أي من الطرق التالية لا يفضلها رسول الله ﷺ عندما ندعو البشر الغافلين اللاهين إلى عقيدة التوحيد؟

أ- إن نخوف الناس من عذاب الآخرة ونذكرهم بنعم الجنة.

ب- إن نسفّه عقائد الآخرين المخاطبين ونقنعهم مباشرة.

ج- إن نطلب التأييد والمساندة من المخاطبين ونقنعهم مباشرة.

د- مهما كان وضع المخاطبين فلابد ألا نفقد معهم الصبر والتفاهم.

١٦- يقول الحق ﷻ: ﴿الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت، ١ - ٣) وقال عز من قائل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران، ١٤٢). وقال أيضًا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة، ٢١٤).

ما هي الخاصية المشتركة التي تستنتج من تلك الآيات الكريمة؟

أ- لا يتحقق المؤمن من إيمانه ما لم يتعرض لامتحانات وابتلاءات عسيرة.

ب- على قدر ما يمر به المرء من ابتلاءات صعبة يصبح مؤمنًا حقًّا.

ج- كل أمة تمر بمجموعة من الإمتحانات الصعبة تناسب وضعها.

د- حتى يكون المؤمن مؤمنًا في كل وقت يجب أن يمر بامتحانات صعبة.

١٧- لو كان صحيحًا أن الشيطان قد جعل رسول الله ﷺ يخطئ فيهمس ويتحدث بآيات تدور حول رجاء الشفاعة وطلبها من الأصنام كما ادعى المستشرقون في حادثة الغرانيق فأي مما يلي لا يمكن حدوثه؟

أ- قيام الشيطان بنفس العمل في الآيات الأخرى وهكذا لا تتبين حقيقة كثير جدًّا من الآيات.

ب- دخول المشركين في الإسلام بسبب هذه الآية التي نالت استحسانهم لأنهم قبل ذلك كانوا قد عرضوا على رسول الله ﷺ قبول أصنامهم نفسها.

ج- إن الله تعالى قد ترك رسوله ﷺ عاجزًا في مواجهة الشيطان وهكذا لا يمكن أن يتم الدين بشكل صحيح.

د- إن الله كان يرسل الآية مرة أخرى لكل كافر من أجل أن يزيل هذه الشبهات كلها.

١٨ - عندما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة: إن المسيح هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" ضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود".أي واحدة مما يلي لا تعتبر من النتائج التي يمكن أن تستخرج من القطعة السابقة؟

أ- إن دين الإسلام لا يختلف من ناحية أسس العقيدة عن المسيحية التي فسدت.

ب- إن عيسى عليه السلام يحمل نفس القيمة في الإسلام والمسيحية من ناحية كونه رسولاً.

ج- إن النجاشي كان الأقرب من ناحية الاعتقاد إلى المسيحية التي لم تفسد.

د- إن النجاشي قد اكتشف أن مصدر الإنجيل والقرآن ومنبعه واحد وهو النور الإلهي.

١٩- أي واحد مما سيأتي ليس من الأسباب التي أصابت المشركين بالهم والغم بسبب هجرة المسلمين إلى بلاد أخرى؟

أ- إن هناك احتمالاً أن ينشروا الإسلام في الأماكن التي سيذهبون إليها.

ب- إن يطردوا من الأماكن التي يذهبون إليها ويعودون إلى مكة.

ج- إن هناك احتمالاً أن يظهروا كقوة جديدة تعارضهم.

د- إن هناك احتمالاً أن يثيروا القبائل الأخرى ضد مكة.

٢٠- أي مما يلي لم يكن له تأثير على دخول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسلام بعد أن كان ذاهباً لقتل رسول الله ﷺ؟

أ- انضمام حمزة رضي الله عنه الذي كان يدعم المشركين إلى صفوف الإسلام.

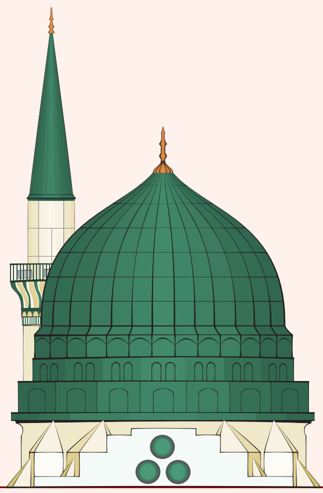
ب- ثبات أخته وزوجها الحقيقي والمتمكن على عقيدة الإسلام

ج- دعاء الرسول ﷺ له بالهداية.

د- حماسة خباب وسعيه لإقناع عمر بالإسلام.


لا إله إلا الله محمد رسول الله

القسم الثالث





السنوات السابعة والثامنة والتاسعة من البعثة النبوية الشريفة

إبعاد المسلمين ومقاطعة المشركين لهم

كان الإسلام رغم كل المعوقات يحقق توسعًا وانتشاراً يومًا بعد يوم، وهذا الموقف كان السبب في زيادة حنق المشركين وحقدهم، فلم يتحملوا تلك الحال فاجتمعوا فيما بينهم وقرروا قتل نور الوجود ﷺ.

وأقسموا قائلين:

"وأيم الله لنقتلنه إما سرًّا أو على رؤوس الأشهاد"

ولما رأى أبو طالب ما قرره القوم من ارتكاب هذه الجريمة انتابه الغم والهم خشية وخوفًا على حياة رسول الله ﷺ فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب وقرروا الوقوف بجانب رسول الله ﷺ وحمايته من شتى أنواع المخاطر.

واجتمع بنو هاشم وبنو المطلب برئاسة أبي طالب إلا ما كان من أبي لهب (عليه لعنة الله) فإنه انحاز إلى صف المشركين. وقرر المشركون القيام بخطة دنيئة لمنع الإسلام من الانتشار والحد من قوته. ولهذا الغرض اجتمع المشركون برئاسة أبي جهل وقرروا أن يضربوا الحصار على بني هاشم وبني المطلب فلا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ليقتلوه. وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على جدار الكعبة، وكتب تلك الصحيفة منصور بن عكرمة، فدعا عليه رسول الله ﷺ يوم كتب الصحيفة فشلت يده. فقال المشركون:

"أصيب منصور بسبب ظلمنا لبني هاشم" (ابن هشام: جـ ١، ص ٣٧٢ - ٣٧٣؛ ابن سعد، جـ ١، ٢٠٨ - ٢٠٩؛ البخاري، الحج، ٤٥)

وقد بدأت فترة حصار كبير للمسلمين وحرمان لهم. وكان أبو جهل ومع رجاله الأشرار يراقبون مكان المسلمين ليل نهار، وكانوا يسعون لمنع دخول المهربة إلى هناك.

وقطع المشركون طرق الأسواق كلها التي تذهب ناحية المسلمين، فكانوا يشترون الأطعمة التي تدخل إلى المسلمين فلم يتركوا لهم شيئا ليأكلوه. حتى في مواسم الحج عندما كان المسلمون يخرجون من الحصار ويسعون لشراء الطعام من البائعين القادمين من خارج مكة ليطعموا أطفالهم كان أبو جهل يسارع إلى هؤلاء البائعين ويقول لهم:

"يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم. فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافًا، حتى يرجع المسلم إلى أطفاله وهم يتضوعون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به. ويغدو التجار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس". (السهيلي، جـ٢، ص ١٢٧ - ١٢٨)

وفي مواجهة هذا الموقف أنفقت السيدة خديجة ﵂ ثروتها كلها في سبيل الله تعالى ولمعاونة المسلمين. (اليعقوبي، جـ ٢/ ٣١)

وكان بعض المشركين مثل حكيم بن خزام وهشام بن عمرو يذهبون إلى عمتهم خديجة ﵂ ويساعدون المسلمون سرًّا، وفي تلك الفترة تحمل المسلمون المشقة والحرمان. أما الأطفال فقد ماتوا من الجوع، حتى أن أصوات بكاء الأطفال كانت تسمع من خارج الحصار، وقد وصل بهم الجوع حتى أنهم لم يجدوا شيئاً يأكلونه سوى جلد بعير يابسة وأوراق الأشجار.

وقد قصد المشركون من هذه المقاطعة أن يجوع المسلمون حتى يسلموا رسول الله إليهم ليقتلوه. وهكذا كان المشركون ينتهزون أية فرصة ليقتلوا رسول الله ﷺ. ولكن بني هاشم وعلى رأسهم أبي طالب ومعهم المسلمون العظماء قرروا أن يفدوا رسول الله ﷺ بأرواحهم ولا يسلموه أبدًا.

انتهاء المقاطعة

في نهاية السنوات الثلاث للحصار -والتي مرت بآلاف من أنواع العذاب والمآسي- سلط الله تعالى الأرضة على صحيفة المقاطعة التي علقها المشركون على جدران الكعبة، فأكلت الأرضة كل ما في الصحيفة من قرارات جائرة ظالمة، ولم تترك إلا كلمة "باسمك اللهم". وقد أخبر رسول الله ﷺ عمه بهذا الأمر الذي أوحي إليه، فقص أبو طالب الخبر على أخوته وقال لهم:

"هلموا فارتدوا أجمل ثيابكم ولنذهب إلى قريش فنخبرها بخبر الصحيفة قبل أن يدركوه بأنفسهم". وأخبر أبو طالب مشركي مكة بما كان من أمر الصحيفة.

وعلى الفور أرسل المشركون من يحضر الصحيفة التي علقت على أستار الكعبة. فلما أحضروها وجدوا الصحيفة على الحال الذي أخبرهم به رسول الله ﷺ. وظل المشركون في حيرتهم مدهوشين، فقال لهم أبو طالب دون تردد أو وجل: "يا معشر قريش هلا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا؟!"، فلم يتلق أبو طالب ردًّا من المشركين إلا أنهم قالوا: "هذا سحر من سحر محمد".

واستمروا في عنادهم وكفرهم وكفروا بتلك المعجزة الواضحة. إلا أن نفرًا من كبار القوم من المشركين، عابوا ما فعله المشركون مع بني هاشم وبني المطلب وعدوه من الظلم البين تجاه العشيرة والأهل، وقالوا كيف نرضى بأن نرفل في النعيم وأخوتنا يموتون من الجوع؟! فاجتمع هشام بن عمرو

وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود ليلا في مكان يسمى الحجون بأعلى مكة وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير عليه حلة، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل على الناس، فقال:

"يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد: كذبت، والله لا تشق. فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، مارضينا كتابتها حيث كتبت. قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقر به. قال المطعم بن عدى: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك.فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، وتُشُووِر فيه بغير هذا المكان. وقام هؤلاء بإخراج بني هاشم وبني المطلب من شعب أبي طالب وأعادوهم إلى منازلهم".

وهكذا تخلص المسلمون من ذلك الحصار الظالم الذي استمر ثلاث سنوات. وقد مدح أبو طالب من أبطلوا تلك المقاطعة بشعر قاله. أما المشركون فقد أدركوا أنهم لن يستطيعوا أن يمنعوا رسول الله ﷺ من أداء دعوته وتبليغ رسالته وانقطعت آمالهم في بلوغ تلك الغاية. (ابن هشام، جـ ١، ٣٩٧ - ٤٠٦؛ ابن سعد، جـ ١، ٢١٠ - ٢١١)

وكانت تلك الأزمات والمصائب التي مرت على المسلمين سبباً في تقوية إيمانهم وزيادة الترابط فيما بينهم، ولم ينل الكافرون شيئًا سوى الخسران المبين كحالهم في كل وقت وزمان.

معجزة شق القمر

لقد أعطى الحق ﷻ خصوصيات خارقة للرسل (عليهم السلام) تجعلهم يؤثرون في الناس وتقربهم إلى الإيمان عندما يدعونهم إلى الدين الحق، وهذا الوضع يكسر عناد المنكرين الكافرين. فضلاً عن ذلك فإن الحوادث الخارقة تساعد الجموع البشرية على اتباع الرسل والإيمان بهم، وهذا النوع من الحوادث يسمى «المعجزة».

وقد وهب الله تعالى الرسل (عليهم السلام) تلك الخصائص والحوادث التي تثير الحيرة والدهشة في عقول البشر من حولهم في عصورهم أنفسهم.

فمثلاً سيدنا موسى عليه السلام أعطاه الحق معجزة تناسب ما كان عليه الحال في عصره من تفوق في السحر فقام بما يشبه ما كان يفعله مشاهير السحرة في عهده، ولكنه تفوق عليهم وهزمهم مثل تحول العصى في يده إلى حية تسعى ،وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء.

مرة أخرى كان الأطباء في عهد سيدنا عيسى عليه السلام يكتسبون مكانة عالية في عيون الناس بسبب تطور علم الطب في عصره.

ولهذا السبب أوتي عيسى عليه السلام معجزات مثل شفاء المرضى وإحياء الموتى أعجزت أمهر الأطباء في عهده وجعلتهم يحنون رؤوسهم له.

أما بعثة المصطفى ﷺ ورسالته فهي صالحة لكل زمان ومكان حتى قيام الساعة. ولهذا السبب فقد كانت لدى رسول الله ﷺ معجزات وقدرات كالتي كانت عند الرسل والأنبياء السابقين. ولكن معجزاته ﷺ لم تكن محدودة في أمور مثل الحديث المؤثر الجميل والتكلم بكلام حكيم بليغ تلك الأمور التي كانت أكثر الفنون تأثيرًا في عصره.

وكانت حادثة شق القمر التي حدثت في السنة التاسعة للبعثة الشريفة في مكة إشارة إلهية، وتنبيهًا للكافرين، وترطيبًا لقلوب المؤمنين الذين عانوا وضجوا تحت حصار المشركين.

وفي ليلة مقمرة دعا رسول الله ﷺ ربه فانشق القمر نصفين. وعندما انشق القمر شوهدت قطعة منه ناحية جبل قبيس والقطعة الأخرى ناحية جبل قيقعان.

ورغم أن المشركين شاهدوا ذلك حتى أنهم رأوا غار حراء بينهم إلا أنهم قالوا سحرنا محمد، ثم قالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم! فقال أبو جهل: اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلا فقد سحر محمد أعيننا. فجاء الناس فأخبروا بانشقاق القمر. فقال أبو جهل والمشركون هذا سحر مستمر. فأنزل الله تعالى تلك الآيات الكريمة:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر، ١ - ٢)

وقد اتفق أهل مكة كلهم على رؤية حادثة انشقاق القمر فآمن منهم من قذف الله تعالى نور الهداية في قلبه، وكذّبها من كانت على قلوب أقفالها فقالوا: «ذلك سحر ساحر».

وقد اضطر عالم الفضاء الفرنسي المشهور لافرنسوا دي لاندى إلى اعتناق الإسلام بسبب معجزة «شق القمر» وذلك عندما كان يدرس أحوال القمر.

وكانت حادثة شق القمر معجزة كبيرة لرسول الله ﷺ، ولأنه كان نبي آخر الزمان فقد كان ظهور تلك الحادثة في الدنيا إحدى علامات القيامة. وقد أشار الحق ﷻ لهذا الأمر فقال في كتابه الكريم:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر، ١)

السنة العاشرة للبعثة الشريفة

عام الحزن: وفاة السيدة خديجة زوجته وعمه أبي طالب

لم تستمر سعادة رسول الله ﷺ والمسلمين الذين خرجوا من حصار المشركين سالمين. لأنه عقب انتهاء الحصار والمقاطعة مباشرة توفي أبو طالب عم النبي ﷺ الذي كان يحميه ويحمي المؤمنين ويضحي من أجلهم.وكان الرسول ﷺ يُصر على عمه كثيرًا كي يدخل في الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وأمام هذا الإصرار كان عمه يقول له:

«يا ابن أخي قد علمت أنك صادق ولكني أخشى أن تعيرني نساء قريش».

وهكذا رغم أنه كان يصدق بنبوة ابن أخيه ورسالته، إلا أنّ نفسه غلبته ورفض أن يؤمن برسول الله ﷺ.

وظل رسول الله ﷺ مصرًّا على دعوته لأبي طالب للإسلام حتى وهو على فراش الموت، حتى يسلم روحه لله وهو مؤمن به مصدق برسالته فكان يقول له:

«يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله»

ولكن أبا جهل الذي كان يجلس بجواره منعه من النطق بالشهادة وظل يقول له: «يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟! ولم يزل يكلماه حتى قال أبو طالب في النهاية لرسول الله ﷺ:

«يا ابن أخي والله لولا رهبة أن تقول قريش جذع عند الموت لفعلت الذي تقول ولأقررت بها عينك عند الفراق» (البخاري، الجنائز ٨١؛ مناقب الأنصار، ٤٠؛ ابن سعد، جـ ١، ١٢٢)

وعندما سمع رسول الله ﷺ تلك الكلمات منه قال له:

«أَمَا وَالله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» وخرج من بيت عمه حزينًا.

وحزن رسول الله ﷺ بشدة لفراق عمه أبي طالب، وظل يستغفر له كما وعده حتى نزل قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص، ٥٦) (مسلم، الإيمان، ٤١ - ٤٢)

فالهداية نور إلهي يحمل العبد إلى الطريق الصحيح، وأيما قلب ظمأ إلى نبع الهداية جعل الله تعالى له نصيبًا منها. تقول الآية الكريمة:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾

(الرعد، ٢٧)

وفي هذا الأمر يكون سعي البشر الآخرين مجرد وسيلة فقط للإيمان. حتى رسول الله ﷺ لم تكن مساعيه وجهوده لتثمر طوال الوقت في هداية الآخرين، فمثلاً رغم مساعي رسول الله ﷺ الحثيثة كلها، إلا أن أبا طالب عمه غلبت عليه شقوته مع أنه كان يعرف صدق رسول الله ﷺ، ومات على الكفر ولم يكن له نصيب من الهداية. لم تمض أكثر من ثلاثة أيام على وفاة أبي طالب إلا ويغرق رسول الله ﷺ في حزن أعمق وأشد من حزنه على وفاة عمه، فقد توفيت رفيقة دربه، وتوأم روحه، وشريكة كفاحه وجهاده، وملاذه عند الشدائد سيدة نساء العالمين خديجة الكبرى رضي الله عنها.

لقد تراكمت الأحزان على قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين. ووضع رسول الله ﷺ بيده زوجته المباركة التي كان يحبها كثيرًا في قبرها.

كان الحزن يملأ قلب رسول الله ﷺ والدموع تملأ عينيه، لأن أمنا السيدة خديجة رضي الله عنها كانت بالنسبة له المعين الصادق في دعوته، وملاذه عند الشدائد، ومصدر السلوى والعزاء له. حتى أنه قال ﷺ عند وفاتها:

«**اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان لا أدري بأيها أنا أشد جزعًا**» (اليعقوبي، جـ ٢، ٣٥؛ الطبري، جـ ٢، ٢٩٩)

وهاتان الحادثتان المؤلمتان كانتا السبب في تسمية العام العاشر من البعثة الشريفة «**بعام الحزن**».

وبوفاة عم رسول الله ﷺ وزوجته لم يعد أحد يسانده ويحميه ويساعده. وهكذا صُفي قلب رسول الله ﷺ لله عز وجل وحده؛ لأنه وحده سبحانه هو المرجع الوحيد الذي يجب أن تتوكل عليه القلوب والأرواح وتسلم له. ولذلك حُرم رسول الله ﷺ في طفولته من أبويه وجده ليتربى على عين الله تعالى.

وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها إنسانة فاضلة للغاية، لم يَنْسها رسول الله ﷺ أبدًا، وظل طوال حياته يقدم للأمة أجمل نموذج في الوفاء لزوجته المباركة.

تحكي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول:

«ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صديقات خديجة» (البخاري، مناقب الأنصار، ٢٠)

ومرة أخرى تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «ذات يوم استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: «**اللهم هالة**». فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله تعالى خيراً منها» (البخاري، مناقب الأنصار، ٢٠).

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تشير إلى نفسها بقولها خيرًا منها، ولكن رسول الله ﷺ غضب ولم يرض بقولها، ورد عليها بهذه الكلمات التي تحمل كل معاني الوفاء قائلاً:

«**لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنتْ بي إذْ كفرَ الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبَني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء**» (أحمد، جـ٦، ١١٨)

رحلة الطائف

بعد أن مات عم النبي ﷺ وزوجته ازداد العداء لسلطان الأنبياء ﷺ ضراوة ووحشية، ونالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تنال منه قبل ذلك. فخرج رسول الله ﷺ ومعه زيد بن الحارثة رضي الله عنه إلى الطائف التي تبعد عن مكة بمائة وعشرين كيلومتر تقريبًا للاتصال بثقيف. ومكث رسول الله ﷺ هناك عشرة أيام يعرض على ثقيف الإسلام ويدعوهم إلى توحيد الله ﷻ. وكان يلتقي بوجهاء الطائف ويدعوهم أن يتركوا عبادة الأصنام، ولم يترك رسول الله ﷺ واحدًا منهم إلا ذهب إليه.

وقد أحدث هذا الأمر جلبة رهيبة بين أهل الطائف الذين كانوا يعبدون الأصنام مثل قريش. فلم يقبلوا منه ما جاء به من الهداية لأنهم كانوا يعيشون في غياهب شهوات نفوسهم الدنيئة.

ولم يكتف أهل الطائف بهذا، بل سخروا منه وأخذوا فى سبه حتى اجتمع عليه الناس، وقعد سفهاء الطائف صفين على طريقه، فلما مر بين الصفين جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفة وهو من بعث رحمة للعالمين. وجُرح معه زيد بن حارثة عندما كان يحاول أن يفديه ويحميه بجسده، وأخذ يصيح فيهم قائلاً:

«يا أهل الطائف أتعرفون من تقذفون بالحجارة إنه رسول الله». وظلوا يقذفونه بالحجارة حتى ألجأوه هو وزيد إلى بستان ابني ربيعة فجلس تحت ظل شجرة.

ولم يشأ منبع الرحمة ﷺ أن يدعو على أهل الطائف رغم ما كابده من عناء مرير، بل رفع يديه إلى السماء وأخذ يتضرع إلى ربه ويدعوه فيقول:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنـزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضي، ولا حول ولا قوة إلا بك» (ابن هشام، جـ٢، ٢٩-٣٠؛ الهيثمي، جـ٦؛ البخاري، بدء الخلق،٧)

كانت الأرض حزينة، والسماء حزينة، والملائكة حزينة، وجبريل حزينًا، وميكائيل حزينًا وإسرافيل حزينًا. ويأتي جبريل إلى رسول الله ﷺ ومعه الملائكة يطلب الإذن منه قائلاً:

«مرني يا رسول الله والله لئن شئت لأطبقن عليهم الأخشبين» وهما جبلان عظيمان في مكة،

فيقول له ﷺ:

«لا ...لا تفعل لعل الله يظهر من أصلابهم من يقول: لا اله ألا الله محمد رسول الله».

فلما رآه ابنا ربيعة، عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رحمها، فدعوا غلامًا لهما نصرانياً، يقال له عداس، فقالا له:

خذ قطفا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ،

ثم قال له: كل! فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده،

قال ﷺ: «**باسم الله**»، ثم أكل.

فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد،

فقال له رسول الله ﷺ: «**ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك ؟**»

قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى؛

فقال رسول الله ﷺ: «**من قرية الرجل الصالح يونس بن متى**»

فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي**»،

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه (ابن هشام، جـ٢، ٣٠؛ اليعقوبي، جـ٢، ٣٦)

فيالسعادة عداس ﷺ الذي دخل الإسلام وآمن في أصعب ظروف مرت في حياة رسول الله ﷺ، ونال شرف أن يكون في إيمانه العزاء والسلوى لرسول الله ﷺ، وأدخل السعادة على قلبه، وأنساه كل ما لقي من العذاب والمشقة والعنت.

وقد اشتملت رحلة الطائف على كثير من العبر منها:

١- أظهرت رحلة الطائف أهمية الدعوة وأنها مقدمة على كل شيء، لأن رسول الله ﷺ رغم أنه فقد عمه وزوجته في ذلك العام، إلا أنه استمر في تبليغ دعوته بصبر وثبات.

٢- لم يدع رسول الله ﷺ على أهل الطائف رغم أنهم قذفوه بالحجارة. وهذا يبين الرحمة الواسعة لرسول الله ﷺ، ويشير إلى ضرورة أن يكون الداعية والمبلغ رحيما بمن يخاطبهم ويدعوهم.

٣- لم يفقد رسول الله ﷺ الأمل حتى في أشد لحظات الظلم والعذاب الذي لقيه من أهل الطائف ودعا لهم بالهداية. وفي هذا قدوة لمن يدعو إلى الإسلام ألا يقنط من رحمة الله تعالى في قوم فيدعو لهم دائمًا ولا يقطع الرجاء فيهم.

٤- إن رسول الله ﷺ قد وجد العزاء والسلوى في إسلام عداس في أشد لحظات الضيق، وهذا يوضح لنا أن الداعية يبذل كل ما لديه من جهد وطاقة ويفرح ويجد العزاء حتى لو نال رجل واحد فقط الهداية على يديه.

٥- يجب على حامل الدعوة أن يقتدي برسول الله ﷺ في خصاله وأخلاقه الجميلة التي أظهرها في تلك الرحلة مثل: الصبر والتوكل والعزم والتفاؤل.

٦- على الشخص الذي يبلغ دين الله تعالى ويدعو إليه أن يعرف باتقان وبصيرة أساليب التواصل والحوار مع الآخرين، ويجب عليه أن يكون مثقفًا وعارفًا بمن يتحدث معه كما كان حال الرسول ﷺ مع عداس رضي الله عنه.

استماع الجن إلى القرآن الكريم ودخولهم في الإسلام

بينما كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ذات ليلة في طريق عودته من الطائف استمع نفر من الجن لما يقرأ، فعرفوا جميعهم الحقيقة وآمنوا برسول الله ﷺ ورجع هؤلاء الجن إلى قومهم منذرين. (ابن سعد، جـ ١، ٢١)

ولما رجعوا إلى قومهم قالوا:

﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف، ٢٩)

فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ (الجن، ١ – ٢) (البخاري، التفسير، ٧٢؛ الآذان، ١٠٥؛ مسلم، الصلاة، ١٤٩)

وذكر الله تعالى هذه الحادثة في سورة الأحقاف أيضا فقال ﷻ:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف، ٢٩ – ٣٢)

ولأن رسول الله ﷺ خرج مهاجرًا من مكة إلى الطائف كان لابد حسب تقاليد العرب إذا أراد أن يعود إلى مكة من جديد أن يعود في جوار أحد المكيين. لهذا السبب لما كان الرسول الله ﷺ عائدًا من

الطائف إلى مكة عند مكان يسمى نخلة عند جبل حراء أرسل رجلا إلى الاخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة فرفض، ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فرفض هو الآخر، فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال: نعم قل له فليأت.

فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج معه هو وبنوه متقلدي السيوف جميعًا وقال لهم:

تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمداً.

فدخل رسول الله ﷺ المسجد، فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى:

يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجوه أحد منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته ومطعم بن عدي وولده محيطون به يحرسونه (ابن سعد، جـ١،٢٠٢؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ١٨٢)

وبعد أن مرت عدة سنوات قتل المطعم يوم بدر وكان مازال على شركه لم ينل شرف الإيمان. فقال رسول الله ﷺ لجبير ابنه وكان من بين الأسرى:

«لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم سألني في هؤلاء النقباء لوهبتهم له» (البخاري، الخمس،١٦؛ ابن هشام، جـ١، ٤٠٤، ٤٠٦)

فما أجمل ذلك الخلق النبيل وما أعظم هذا الوفاء الذي أظهره رسول الله ﷺ حتى لرجل من المشركين أحسن إليه وقدم له معروفًا ذات يوم.

السنة الحادية عشرة للبعثة

لقاء العقبة

ذات ليلة خرج رسول الله ﷺ يدعو الناس في موسم الحج كما كان يفعل دائماً. فلما مر بعقبة منى سمع أصوات رجال يتكلمون فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب أهل يثرب. فلما نظروا إليه ورأوا النور يتلألأ في جبينه قالوا:

«ما أجمل ذلك القادم إلينا!».

وبدأت قلوبهم تنجذب إليه وتنبت بذور المحبة له فيها. فلما وصل إليهم نور الوجود ﷺ قال لهم:

«من أنتم؟»

قالوا: نفر من أهل المدينة،

قال: «**أفلا تجلسون أُكلمكم؟**».

قالوا: بلى،

فجلسوا معه وقد أدركوا أن سعادة أرواحهم تكون في الحديث مع رجل مثله، وأحاطوا به كما تنجذب الفراشات نحو النور.

وأخذ رسول الله ﷺ يشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ويدعوهم إلى الله ﷻ، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض:

«تعلمون والله يا قوم، إنه النبيّ الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته».

ونظروا مرة أخرى إلى الرسول الأكرم ﷺ مأخذوة عقولهم بالنور الذي رأوه يتلألأ في وجهه وأدركوا أن ما جاء به هو الحق من عند الله ﷻ، فقالوا معًا من صميم قلوبهم:

«نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله».

وكان رسول الله ﷺ يبحث عن مكان يأوي إليه المسلمون يعبدون ربهم فيه آمنيين مطمأنيين. ولهذا السبب سألهم:

«تَمْنَعُونَ لِي ظَهْرِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ؟»

فقالوا:

«يا رسول الله نحن مجتهدون لله ولرسوله. نحن. فاعلم. أعداء متباغضون. وإنما كانت وقعة بعاث. عام الأول. يوم من أيامنا اقتتلنا فيه فإن تقدم ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع. فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا. وموعدك الموسم العام المقبل.».

وعادت قافلة الإيمان الصغيرة تلك إلى يثرب في سعادة غامرة وصفاء لا مثيل له. وقد تطهرت قلوبهم من أدران الجاهلية وطُرحت عنها أثقالها ومن عليها من أغلال فعادت خفيفة كخفة الطير الصغير.

ولما وصلوا إلى المدينة شرعوا يبلغون إليها رسالة الإسلام وينقلون إلى أهلها ما كان من أمر سيد الكون وشمس العالمينﷺ حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وهي تتحدث عن رسول الله ﷺ.(انظر ابن هشام، جـ٢، ٣٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١ ، ٢١٩؛ الهيثمي، جـ٦، ٤٠)

الإسراء والمعراج: إكرام إلهي لا مثيل له لحبيب الحق ﷺ

وقعت حادثة الإسراء قبل ثمانية عشر شهرًا من الهجرة. وهذا الإكرام الإلهي الذي عُبر عنه بالإسراء والمعراج هو منحة إلهية تحققت تمامًا بالمقاييس الإلهية، التي تفوق إدراك الإنسان وتعلو فوق التصورات البشرية، لأن مفهوم الزمان والمكان بالمعنى البشري قد زال في حادثة الإسراء والمعراج.

فهذه المشاهدات التي لا حصر لها ولا عد، والتي لا يحصيها عمر مليارات من البشر، قد حدثت في فترة قصيرة للغاية. وفي هذا يقول الحق ﷻ:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء، ١)

وقد بدأت هذه الآية بكلمة سبحان تنزيها لله ﷻ عن أي صفة من صفات النقصان، وذلك يشير إلى أن كل الأحداث التي وقعت في ليلة المعراج فوق إدراك العقل البشري. والحق بهذه الكلمة قد نزه ذاته عن أي صفة من صفات النقصان كالعجز وعدم القدرة أمام من يرون استحالة حدوث حادثة الإسراء المعراج.

والإسراء لغة: هو الرحلة ليلاً، فرسول الله ﷺ قد انتقل في هذه الحادثة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. ومنه عُرج به إلى السموات العلى. وقد ذهب رسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى وكان جبريل عليه السلام رفيقه ومرشده في هذه الرحلة ومن المسجد الأقصى ترقى رسول الله ﷺ حتى بلغ «**سدرة المنتهى**».

يحكي رسول الله ﷺ تلك الحادثة فيقول:

«بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان - وذكر: يعني رجلا بين الرجلين -، فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا،

قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء،

فأتيت على آدم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبي،

فأتينا السماء الثانية،

قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحباً به، لنعم المجيء جاء،

فأتيت على عيسى، ويحيى فقالا: مرحباً بك من أخ ونبي،

فأتينا السماء الثالثة،

قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء،

فأتيت على يوسف، فسلمت عليه قال: مرحباً بك من أخ ونبي،

فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء،

فأتيت على إدريس، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من أخ ونبي،

فأتينا السماء الخامسة،

قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء،

فأتينا على هارون فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي،

فأتينا على السماء السادسة،

قيل: من هذا؟ قيل جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه مرحبا به ولنعم المجيء جاء،

فأتيت على موسى، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك: قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي،

فأتينا السماء السابعة،

قيل من هذا؟ قيل: جبريل، قيل من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، مرحبا به ولنعم المجيء جاء،

فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها، كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات،

ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى،

فقال: ما صنعت؟

قلت: فرضت علي خمسون صلاة،

قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك، فسله، فرجعت، فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشراً، فأتيت موسى،

فقال: مثله، فجعلها خمساً، فأتيت موسى

فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمساً،

فقال مثله، قلت: سلمت بخير، فنودي إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً..» (البخاري، بدء الخلق، ٦؛ الأنبياء،٢٢، ٤٣؛ مناقب الأنصار،٤٢/ ٣٢٠٧؛ مسلم، الإيمان، ٢٦٤؛ الترمذي، التفسير،٩٤)

وعند سدرة المنتهى يقف سيدنا جبريل ﷺ فيقول له سيدنا محمد ﷺ:»أهنا يترك الخليل خليله؟. فيقول جبريل ﷺ:

«لكل منا مقام معلوم يا رسول الله! إذا أنت تقدّمت اخترقت ،إذا أنا تقدّمت احترقت»(الرازي، جـ ٢٨، ٢٥١)

وبعد ذلك استمر رسول الله ﷺ في رحلته منفردًا، وأُعطي من التجليات ما أُعطي، وتشرف بجمال جلال الحق ﷻ.

إن التعبير عن الخوارق للعادات التي كانت في تلك الرحلة بما يليق بها هو حقيقة تفوق الخيال وموقف صعب لمن يحاول استيعابها في إطار الإدراك البشري، لأن حقيقة تلك الحادثة وماهيتها هي سر أبدي بين الله تعالى وحبيبه ﷺ. فضلا عن ذلك فإن الله تعالى أراد تبديل الحزن الذي ملأ قلب رسول الله ﷺ بعد المظالم التي تعرض لها في الطائف إلى سرور وسعادة.

والحاصل أن رسول الله ﷺ قد نال إكراماً إلهياً يفوق العطايا والمنح التي حدثت لسائر الأنبياء جميعهم. وقد عبرت الآية عن هذا الإكرام والعطاء الإلهي فقالت:

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم، ٩)

ولو تذكرنا أن موسى ﷺ رغم أنه كان من الرسل «**أولي العزم**»، إلا أنه سقط مغشيا عليه عندما شاهد ذرة من هذا التجلي، لأدركنا جيدًا قيمة رسول الله ﷺ العلوية عند الحق ﷻ ودرجة القدرة واللياقة الخاصة التي وهبت له.

وما أجمل ما عبر به الشاعر كمال أديب كوركجو أوغلو عن الشوق والحماسة التي عاشتها السموات عند صعود نور الوجود إليها فقال:

عندما رأت السموات محياك ليلة المعراج

خرت على الأرض سعيدة تسجد شكرًا لله

وقد بين الحق ﷻ حادثة المعراج في كتابه الكريم فقال:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (النجم، ١ – ٨)

أي أن نور الوجود قد ترقى إلى أعلى نتيجة الجذبة الإلهية، وأنه ظل يترقى ويعلو أكثر عن المكان والأرض التي كان يعيش عليها. وهكذا لم يبلغ رسول الله ﷺ أعلى مكان يمكن أن يصل إليه بشر في

المعراج، بل دنا من الله ﷻ. وعقب ذلك زاد تأثير الجذبة الإلهية والحضرة الربانية، وظلت تزيد وتزيد حتى أن رسول الله ﷺ عبر في لحظة معينة ما وراء الأفق وما وراء اللامكان وما وراء الزمان:

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم، ٩)

وكلمة قاب قوسين أو أدنى هي تشبيه يستعمل من أجل استيعاب حقيقة تجاوز قدرة الإنسان على الفهم، وتعلو فوق الإدراك البشري، وتبعا لهذا فإن تعبير «**قاب قوسين**» سواء أكان قربًا ماديًّا أو معنويًّا هي حقيقة تتجاوز الإدراك البشري.

أي أن رسول الله ﷺ في تلك الحالة اقترب من ربه حتى أزيلت بينهما كل الوسائط والحواجز فكان الحال كما أخبرت عنه الآية الكريمة:

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم، ١٠)

وقد أُعطي رسول الله ﷺ عدة أشياء في هذا الوحي منها:

١- **الصلاة**: كانت واحدة من أهم الأشياء التي حدثت في المعراج وهي إقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة. وقد رجع رسول الله ﷺ إلى ربه كما أوصاه موسى عليه السلام لتخفيف عدد أوقات الصلاة. فقد كانت في البداية خمسين صلاة ثم خُفضت إلى خمس وإن كانت في الأجر تعادل أجر خمسين صلاة. والمؤمنون المعلقة قلوبهم بالله تعالى يؤدون بالإضافة إلى الصلوات الخمس المفروضة صلاة النافلة مثل صلاة الضحى وصلاة التهجد في الليل.

٢- **أُوحي إلى رسول الله ﷺ الآيتان الأخيرتان من سورة البقرة**. فقد روى مسلم في الحديث الشريف أن:

٣- «رسول الله ﷺ أعطي ثلاثاً:

أعطي الصلوات الخمس،

وأعطي خواتيم سورة البقرة،

وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً» (مسلم، الإيمان،٢٧٩).

ومع ذلك فإن كيفية الوحي وتفصيلاته لا يعلمها إلا الله تعالى ورسوله ﷺ فقط. فرسول الله ﷺ التقى بربه ليلة المعراج، ورأى تجليات وأحداث لا حصر لها. وبينما كان رسول الله ﷺ عائدًا من مقامه الذي لم يصل إليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل رأي جبريل على صورته الحقيقية في المكان الذي تركه فيه عند «**سدرة المنتهي**» .

وفي ذلك تقول الآيات الكريمة:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (النجم، ١٣-١٦)

وقد سُئل فخر الكائنات ﷺ ذات مرة قيل:

يا رسولَ الله، أيّ شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟

قال ﷺ:

«**رَأَيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، ورأيتُ على كُلّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِها مَلَكا قائما يُسَبِّحُ اللهَ**» (الطبري، جـ ٢٧، ٧٥؛ مسلم، الإيمان، ٢٧٩)

وقد عاش رسول الله ﷺ في هذا الوصول حقائق علوية عظيمة لدرجة تفوق قدرة الأقلام على الوصف. ونال تجليات كبيرة من عظيم ملك ربه تعالى وسلطانه، ولكن على قدر قدرته على المشاهدة. وقد أوضح الطبري في تفسيره هذا الأمر فقال:

«إن رسول الله ﷺ رأى ربه بقلبه» (الطبري، جـ ١٧، ٦٣)

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«**رأيت ربي**» (أحمد، المسند، جـ١، ٢٨٥)

وفي رواية أخرى عندما سُئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال:

«**رأيت نوراً** » (مسلم، الإيمان،٢٩٢). والله تعالى أعلى وأعلم بحقيقة الأمر.

وفي حادثة المعراج يجب أن نشير إلى تلك الحقيقة وهي أن البشر لا يملكون إلا أن يعرفوا ما حدث في ماضيهم فقط، أما الأنبياء فقد متعهم الحق ﷻ ومنحهم القدرة على معرفة الماضي والحاضر والمستقبل.

فمثلاً ذكر رسول الله ﷺ مجموعة من أحداث المستقبل التي رآها في ليلة المعراج في تلك الليلة التي تتجاوز حدود الماضي والحاضر والمستقبل.

وقد عبر رسول الله ﷺ عن هذه المشاهدات بصيغة الماضي أي بصورة أنها وقعت. من ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه:

«**لما أسري بي مررت برجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار.**

قلت: من هؤلاء ياجبريل؟

قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون» (انظر: أحمد، جـ٣، ٣١، ١٢٠، ١٨٠، رقم ١٣٤٢١؛ البيهقي، الشُّعب، جـ٢، ٢٨٣)

مرة أخرى ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فقال:

«أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا» (ابن ماجة، التجارة، ٥٨/ ٢٢٧٣)

وفي المعراج رأى رسول الله ﷺ آيات لا يحصرها العد منها ما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري قال رسول الله ﷺ:

«ثم عُرِج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» (البخاري، ٣٤٩)

أي أن رسول الله ﷺ ارتفع إلى مقام علوي وبلغ منزلة سامية سمع فيها أصوات الأقلام التي تكتب أقدار الكائنات، واطلع على حقائق تفوق الإدراك.

وهذا الحديث السابق يبين بوضوح أن رسول الله ﷺ كان يعيش في ليلة المعراج الماضي والحاضر والمستقبل في نفس اللحظة بشكل متداخل.

عدد من الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج:

١- حادثة المعراج تعرض أمام العيون قدرة الله تعالى وسلطانه اللامحدود الذي أسرى بعبده بهذا الشكل الاستثنائي.

٢- كان المعراج منحة وعطاء بعد رحلة الطائف المليئة بالمشاق والعذاب والآلام وكانت رسالة سرور وبشرى عقب ما حدث من مشقات.

٣- الفروض التي أمرنا بها الحق تعالى في القرآن الكريم أُوحى بها إلى رسول الله ﷺ عن طريق سيدنا (جبريل عليه السلام). أما الصلاة فقد أمر بها الله تعالى مباشرة في ليلة المعراج، وهذا يوضح أن هناك سر خاص في الصلاة وأن لها أهمية خاصة واستثنائية بين سائر العبادات.

٤- حادثة المعراج تظهرلنا أن القلب إذا تخلص من قفصه الترابي الطيني يمكن أن تتنزل عليه الأسرار الإلهية، ويمكن أن يترقى إلى حيث يتكامل الإنسان ويسمو. أي توضح لنا أسرار رقي الإنسان المعنوي التي تمتد إلى ما لانهاية.

ردود فعل حادثة المعراج وانعكاساتها

عندما قال سعادة الكون ﷺ لجبريل عليه السلام:

«إن قومي لا يصدقوني»

ليخبره عن حال مشركي مكة إذا أعلمهم بحادثة الإسراء والمعراج، رد عليه جبريل عليه السلام قائلاً:

«يصدقك أبو بكر وهو الصديق» (ابن سعد، جـ١، ٢١٥)

وعندما سمع المشركون حديث الإسراء والمعراج كذبوه؛ وسعى بعضهم ليشوش على المسلمين ليصرفهم عن الإيمان والإسلام حتى أنهم ذهبوا إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة.

فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: إنكم تكذبون عليه؛

فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يُعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدّقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وسمع من فمه الشريف ما وقع في تلك الليلة حتى إذا انتهى رسول الله ﷺ من حديثه

قال أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله.

وحينئذ قال رسول الله ﷺ وهو يبتسم في سعادة لتصديق أبي بكر رضي الله عنه:

«وأنت يا أبا بكر الصديق»؛ فيومئذ سماه الصديق. (ابن هشام، جـ٢، ٥)

ومنذ ذلك اليوم اشتهر أبو بكر (رضي الله عنه بلقب الصديق)، وصدق كثير من الصحابة رسول الله ﷺ مثلما صدقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وشرع المشركون الذين لم يستطيعوا أن يخدعوا المؤمنين في امتحان رسول الله ﷺ فجاؤوا إليه وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس. فرُفع بيت المقدس لرسول الله ﷺ حتى كأنه ينظر إليه فوصفه لهم.

(البخاري، مناقب الأنصار، ٤١؛ التفسير ١٧/ ٣ ؛مسلم، الإيمان، ٢٧٦)

وكلما أجاب رسول الله ﷺ عن كل ما سأله المشركون بكل تفصيل ودقة زادت حيرة المشركين. فسألوه عن قافلة كانت لهم في الطريق في رحلة لهم. فوصف لهم رسول الله ﷺ ما كان من أمر تلك القافلة كما فعل في وصفه لبيت المقدس. بل إنه أخبرهم ببعض التفاصيل التي تزيد عن سؤالهم حتى أنه أخبرهم بموعد قدوم تلك القافلة إلى مكة في اليوم التالي.

وعاد المشركون يجرون أذيال الخيبة على أمل أن يثبت الغد كذب رسول اللهﷺ عن قدوم القافلة. ولكن مع قدوم فجر اليوم التالي بدأت تباشير تلك القافلة تظهر ورأوها على الحال التي أخبرهم بها رسول الله ﷺ. ولكن المشركين الذين كانت على قلوب أقفالها رفضوا التخلي عن عنادهم وكفرهم وقالوا: "**هذا سحر عظيم!**" (انظر: ابن هشام، جـ٢، ١٠)

ولم يؤمن المشركون البؤساء التعساء برسول الله ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج كما لم يؤمنوا به من قبل، واستمرت سخريتهم منه. فضلاً عن ذلك تحول سلوكهم هذا الذي لم يتغير إلى مفهوم يقوم علي التخلص نهائيًا وبشكل كامل من تلك النعمة التي كانت بين أيديهم وهي رسول الله ﷺ؛ لأنه حان الوقت لكي يترك رسول الله ﷺ أهل مكة هؤلاء الذين لم يعرفوا قدر تلك النعمة العظيمة التي كانت بين أيديهم.

السنة الثانية والثالثة عشرة للبعثة

بيعة العقبة الأولى

عاد الستة نفر الذين تشرفوا بنور الإيمان بعد أن حدثهم رسول الله ﷺ عند العقبة الصغرى إلى مكة مرة أخرى في العام التالي وكانوا اثني عشر رجلاً.

والتقوا برسول الله ﷺ عند نفس المكان عند العقبة وكان الستة نفر الجدد قد سمعوا كثيرًا من أصدقائهم عن جمال رسول الله ﷺ، ولذا عندما دعاهم إلى التوحيد آمنوا على الفور.

وقد اختلف حديثهم مع رسول اللهﷺ في تلك المرة عن حديثهم في العام السابق في أنهم بايعوا نور الوجود ﷺ عندما قابلوه هذه المرة، وكانت مبايعة رسول الله ﷺ تتم عن طريق المصافحة بالأيدي والقَسم. ولهذا سُميهذا اللقاء بـ«بيعة العقبة الأولى».

وفي هذه البيعة بايع هؤلاء النقباء المدنيون رسول الله ﷺ على أشياء ستة هي:

١. أن لا يشركوا بالله شيئا.

٢. ولا يسرقون.

٣. ولا يزنون.

٤. ولا يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٥. ولا يقذفون الناس بالبهتان.

٦. ولا يعصون الله تعالى ورسوله في معروف أبدًا.(انظر البخاري، مناقب الأنصار،٧٢)

وتلك المبايعة الأولى كانت نقطة فاصلة في تاريخ الإسلام، فقد تحقق بهذه المبايعة أول عهد مشترك يتعلق بإزالة الشرك والظلم وسائر السيئات الأخرى التي كانت منتشرة انتشارًا بالغًا في الحجاز والجزيرة العربية.

فتح المدينة بالقرآن الكريم

كتب أهل المدينة من الأوس والخزرج رسالة إلى رسول الله ﷺ:

"أن ابعث إلينا مقرئًا يقرئنا القرآن الكريم، فبعث إليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن الكريم"

(ابن سعد، جـ١ ، ٢٢٠)

وكان مصعب بن عمير ﷺ قد دخل الإسلام وهو شاب صغير، ورغم أنه لاقى العذاب الشديد من عائلته، وحرم من أمواله وميراثه؛ إلا أنه لم يرجع عن دينه. وترك مصعب حياة الترف والثراء التي كان يحياها وعاش فقيرًا، ولكنه كان له قلب امتلأ بالإيمان وفاض بعشق رسول الله ﷺ.

ويحكى سيدنا علي ﷺ عن تلك الحال التي كان عليها مصعب بن عمير ﷺ فيقول:

"إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو اليوم فيه، ثم قال رسول الله ﷺ:

«كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة»؟

قالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة،

فقال رسول الله ﷺ:

«لأنتم اليوم خير منكم يومئذ» (الترمذي، القيامة، ٣٥، رقم ٢٤٧٦)

وفي الحقيقة كان مصعب بن عمير ﷺ رمزًا متجسدًا في الحماسة لنشر دين الإسلام. فهذا الشاب الذي كلفه رسول الله ﷺ بتبليغ الإسلام لم يدخر جهدًا لأداء تلك المهمة، وسعى ليل نهار لدعوة الناس إلى الدين الحق. ومع مقدم مصعب إلى المدينة بدأ الإسلام في الانتشار والتوسع.

وكان مصعب أول ما قدم إلى المدينة نزل على أسعد بن زرارة ﷺ أحد السابقين في الدخول إلى الإسلام في منزله بالمدينة وكان يساعده في كل شئون حياته.

وذات يوم خرج مصعب مع أسعد بن زرارة يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر، فدخلا في حائط من حوائط بني ظفر، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مَرَق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين ـ وسعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر سيدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك، فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد:

اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. وجاء أسيد فوقف عليهما متشتماً،

وقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة،

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره،

فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن.

قال: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ .

قالا له: تغتسل، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. فقام واغتسل، وطهر ثوبه وتشهد وصلى ركعتين، ثم قال:

إن ورائي رجلًا إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن، إنه سعد بن معاذ ـ ثم أخذ أسيد حربته وانصرف إلى سعد في قومه، وهم جلوس في ناديهم.

فقال سعد: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. ومن جديد ذهب سعد بن معاذ بعد ذلك إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه فحدثه مصعب بنفس الحديث فانفتح قلب سعد للإسلام وأصبح مسلمًا (ابن هشام، جـ٢، ٤٣-٤٦؛ ابن سعد، جـ٣، ٦٠٤-٦٠٥)

وامتلأ قلب الرسولﷺ والمسلمون فرحًا بهذه الأخبار التي كانت تصلهم من المدينة عن قبول أهلها للإسلام، ودخولهم في دين الله تعالى بأعداد غفيرة وسمى هذا العام بـ «**عام السرور**». ذلك أن المدينة تجهزت واستعدت لأن تكون محضنًا للإسلام ومأوى للمسلمين. ويشير فخر الكائناتﷺ إلى هذه الحقيقة فيقول:

«**فُتحت الأمصار بالسيوف، وفُتحت المدينة بالقرآن**» (البزار، المسند، ١١٨٠؛ الروضاني، رقم ٣٧٧٤)

بيعة العقبة الثانية

بعد مرور عام من بيعة العقبة الأولى تقابل رسول الله ﷺ مع نقباء المدينة في موسم الحج مرة أخرى في العام الثالث عشر للبعثة الشريفة. وكان عددهم هذه المرة خمسة وسبعين فردًا منهم سيدتان. ومرة أخرى بايعوا رسول الله ﷺ، وسميت هذه البيعة «**بيعة العقبة الثانية**».

وكان على رأس هذا الوفد مصعب بن عمير ﷺ وقد ذهب مصعب إلى رسول الله ﷺ قبل أن يذهب إلى منزله نفسه. وأخبره بسرعة انتشار الإسلام في المدينة، وقد أسعد هذا الخبر الذي نقله مصعب بن عمير ﷺ رسول الله ﷺ كثيرًا.

وعندما سمعت أم مصعب من المشركين أن ابنها قد ذهب إلى رسول الله ﷺ أولا غضبت كثيرًا. وبعد أن استأذن مصعب من رسول الله ﷺ ذهب إلى أمه ودعاها إلى الإسلام

فقالت له: ياعاق أتقدم بلدًا أنا فيه لا تبدأ بي؟

فقال لها: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ.

وهكذا كانت محبة أصحاب رسول الله ﷺ له. وجاء النقباء من أهل المدينة إلى مكة كي يخلصوا رسول الله ﷺ وإخوانه المسلمين من الحياة المليئة بالجفاء والإيذاء والظلم، فاتفق رسول الله ﷺ أن يلتقي بهم سرًا عند العقبة الكبرى .

وتواعد الرسول ﷺ ومسلمو المدينة على اللقاء فى العقبة الكبرى فى أحد أيام التشريق على أن يكون سرًا حتى لا تعلم قريش بهذا الأمر فيفسدوه، وأمرهم قائلاً:

لا تنبهوا نائمًا ولا تنتظروا غائبًا.

وامتثل مسلمو المدينة لأمر رسول الله ﷺ حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله ﷺ متسللين تسلل القطا - وهو طائر معروف بالخفة والحذر - إلى مكان الاجتماع عند العقبة الكبرى .

وخرج إليهم الرسول ومعه عمه العباس، ودعا أهل المدينة رسول الله ﷺ أن يهاجر إليهم فأراد العباس أن يتثبت لابن أخيه منهم فقال:

يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحاق بكم، فإن كنتم أهل قوة وجلد ونظر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة فإنها سترميكم عن قوس واحدة فارتأوا رأيكم وائتمروا أمركم فلا تفرقوا إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه وأخرى صفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟

فسكت القوم وتكلم عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ فقال:

نحن والله أهل الحرب، غذينا بها ومُرِّنّا عليها، وورثناها عن آبائنا كابراً عن كابر. نرمي بالنبل حتى تفنى، ثم نطاعن بالرماح حتى تنكسر، ثم نمشي بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا.

فقال العباس ﷺ:

فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وان ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه و بلده.

فقال البراء بن معرور ﷺ: قد سمعنا ما قلت والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكن نريد الوفاء والصدق وبذل المهج وأنفسنا دون رسول الله ﷺ.

ثم قال أسعد بن زرارة ﷺ: يا رسول الله خذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال:

«أبايعكم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا لومة لائم، وأن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

فأخذ البراء ابن معرور ﷺ يده وقال:

نعم، والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه العزيز فينا.

ثم قال العباس بن عبادة ﷺ مؤكدًا البيعة فى أعناق الأنصار:

يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟

قالوا: نعم؛

قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا بذلك؟

قال : «**الجنة**».

قالوا: «ربح البيع، لا نُقيل ولا نستقيل».

وها هو عبد الله بن رواحة ﷺ أحد المبايعين في هذه البيعة يتم هذه الصفقة الرابحة ويسقط شهيدًا في غزوة مؤتة؛ تلك الغزوة التي اشترك فيها وكلّه شوق إلى بذل روحه بعد أن تلقى البشارة من رسول الله ﷺ بأنه سينال الشهادة. وينال عبد الله بن رواحة الدرجات العلى في الجنة بعد أن قدم ماله وروحه في سبيل الله. وصدق الصحابة الأخرون في بيعهم هذا واستمروا يجاهدون في سبيل الله فبورك لهم في تجارتهم المعنوية تلك كما بورك لعبد الله بن رواحة (رضي الله عنهم أجمعين).

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاًّ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (التوبة،١١١)

وأراد الأنصار في بيعة العقبة الثانية أن يستوثقوا لأنفسهم أيضًا من رسول الله ﷺ فقال أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه:

يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها (يريد اليهود) فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال:

«معاذ الله! المحيا محياكم، والمات مماتكم».

وطلب الرسول ﷺ أن يختاروا من بينهم اثنى عشر نقيباً فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ثم بسط رسول الله ﷺ يده فبايعه القوم. وهكذا تقررت الهجرة إلى المدينة التي فتحت أحضانها لتستقبل رسول الله ﷺ ومن تبعه من المسلمين في مكة. (انظر ابن هشام، جـ٢، ٤٧-٥٧؛ ابن سعد، جـ٣، ٦٠٢-٦٠٣؛ أحمد، جـ٣، ٤٦١-٤٦٢؛ الهيثمي، جـ٦، ٤٢-٤٤)

وفي الحقيقة لم تكن بيعتا العقبة بيعة اثنى عشر فردًا أو خمسة عشر فردًا؛ بل كانت عقدًا عقده جميع المسلمين مع الحق عز وجل. واليوم يجب علينا هنا أن نرعى ذلك العهد مثلما فعل المؤمنون الذين صافحوا رسول الله ﷺ عندما بسط إليهم يده الشريفة. وكما أسس مصعب بن عمير رضي الله عنه أساس الإسلام في المدينة يجب علينا أن نؤسس أسس الإسلام في القلوب، ويجب علينا أن نملا قلوبنا بمحبة رسول الله ﷺ، وأن نسّيل ينابيع الإيمان واحدًا تِلوالآخر إلى القلوب العطشى للحقيقة كما فعل مصعب بن عمير رضي الله عنه.

تحليل للعهد المكي

يمكن أن نجمع أنواع الإيذاء التي ارتكبها المشركون بحق المسلمين طوال العهد المكي الذي استمر ثلاث عشرة سنة في خمسة أشكال هي:

١- السخرية المستمرة بالمسلمين وحث الآخرين ودفعهم على ذلك.

٢- الإستهزاء والتحقير من شأن المسلمين بالقول والفعل في كل فرصة.

٣- تعذيب وإيذاء من دخلوا في الإسلام بشتى صور التعذيب والإيذاء.

٤- عندما لم تجد القوة نفعًا مع المسلمين حاصروهم وقطعوا جميع الروابط الإجتماعية والتجارية معهم.

٥- عندما لم يحصلوا على أية نتيجة من كل ما سبق اشتدوا في الإيذاء حتى أجبروا المسلمين على الهجرة وترك الأوطان والأهل.

وقد أخبرنا الحق ﷻ بهذه الأوضاع فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (المطففين، ٢٩-٣٢)

وفي مواجهة ما قام به المشركون استخدم رسول الله ﷺ أيضًا عدة أساليب وطرق تمكنه من القيام بتبليغ رسالته للناس والمحافظة على شعلة الإيمان التي لا تنطفئ في قلوب المسلمين وهي:

١- إحياء جذوة الإيمان متقدة في قلوب المؤمنين وزيادة شوقهم وحبهم لله ورسوله.

٢- تقديم القدوة والمثل للمؤمنين في الصبر والتحمل والأمل في مواجهة المشقات والإيذاء.

٣- تعزية القلوب التي أتعبها طول الإيذاء والمشقة والعنت، وتسليتها بالوعد بالنصر وجنات الخلد.

٤- الاستمرار في السعي لحمل الدعوة الإسلامية ومواجهة لظلم المشركين دون تقديم أية تنازلات تخص الدعوة حتى في أشد لحظات الضعف والعجز.

٥- ربط القلوب في العسر واليسر بالله تعالى وإظهار التسليم والتوكل عليه.

وقد نجح رسول الله ﷺ في تبليغ دعوته رغم جميع الصعوبات والمشقات وتجاوز بنجاح جميع المعوقات التي قابلها. وفي نهاية مرحلة العذاب والمشقة الطويلة تلك تحولت المدينة إلى مركز بالغ الأهمية لانتشار الإسلام وتوسعه في شتى أنحاء الدنيا.

وبعد فترة من العذاب والاضطراب التي استمرت ثلاث عشرة سنة وبعد أن دفع المؤمنون ضريبة إيمانهم، أذن الحق ﷻ للمؤمنين بالهجرة كي ترتاح أجسادهم المتعبة، ويلفها برد اليقين وطمأنينة الإيمان، وتمتلأ القلوب المحزونة بالروحانية والفيض.

وفي تلك المرحلة مرحلة الهجرة وُضعت في المدينة أسس دولة الإسلام وحضارته اللتان صارتا نموذجًا للإنسانية كلها. وفي ذلك الجو الإيماني الروحاني المعنوي تربي أُناس لهم شخصيات ثابتة سليمة راسخة كالجبال لا يهتزون أو يضعفون أمام المحن التي ستقابلهم، وهؤلاء البشر أصبحوا هداة لسائر الأمة، وصاروا نجومًا في سماء الإيمان يهتدي بهم الناس وبهم يقتدون.

الهجرة آخر وسيلة للرسل

(عليهم الصلاة والسلام)

الإذن بالهجرة إلى المدينة

عقب بيعة العقبة الثانية زاد المشركون من سائر أنواع التعذيب والإيذاء عندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى مكان يحفظون فيه أنفسهم. وفي مواجهة هذا الإيذاء الذي لا يطاق لم يعد المسلمون يتحملون الإقامة في مكة. وعرضوا على رسول اللهﷺ ما هم فيه من مهانة وإيذاء وطلبوا منه الإذن في الهجرة.

وعند ذلك أشار عليهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة (يثرب) وقال لهم:

«قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، أُرِيتُ سَبِخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ »وَهُمَا الْحَرَّتَانِ (البخاري، الكفالة،٤)

والحرتان هما منطقتان صخريتان تقع المدينة (يثرب) بينهما.

وقال أيضًا:

«إن الله ﷻ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها».

فخرج المسلمون أرسالاً دون أن يشعر بهم المشركون، وأقام رسول الله ﷺ في مكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة (يثرب) (ابن هشام، جـ ٢،٧٦؛ ابن سعد، جـ١، ٢٢٦)

وهكذا تحولت المدينة (يثرب) إلى مأوى وملجأ للمسلمين، وأصبحت المدينة (يثرب) مكاناً يخيف المشركين، فالإسلام قد انتقل خارج مكة واكتسب احترامًا واعتبارًا كبيرين في المدينة (يثرب).

وكان المشركون البؤساء يعتقدون أنهم أرعبوا المسلمين وأخافوهم، وكانوا يعتقدون أنهم بهذا يحافظون على قوتهم التي في مكة. ولكنهم لم يستطيعوا أن يدركوا ما الذي سيشهدونه في زمن قريب للغاية. لقد كانوا ينتظرون الهزيمة والإضمحلال الذي لا مهرب منه ولا مفر.

لأن أفواج المسلمين الذاهبة إلى المدينة (يثرب) (يثرب) لم تذهب بسبب الخوف منهم، بل هاجرت وهي تشعر أنها تقيم قواعد الإسلام في أقوى شكل وأمتنه. إن الهجرة لا يجب أبدًا أن تفهم على أنها هروب من لا حيلة لهم في ذلة وهوان. فالمدينة (يثرب) كانت وطن هجرة للمهاجرين، وكانت مقر حكم أعده المسلمون لكي يجعلوا دين الله تعالى حاكمًا.

لقد ترك المهاجرون في مكة كل ما يملكون من مال وأهل وعقار في سبيل الهجرة وارتحلوا إلى طرق المدينة (يثرب). يقول علي رضي الله عنه:

«ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب. فإنه لمّا هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهماً واختصر رمحه، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلى متمكناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة.

وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه الأنوف، من أراد أن تثكله أمه، و يوتم ولده، ويرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي. فما تبعه أحد، ولا سار خلفه أحد» (ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٤، ١٥٢-١٥٣)

وقد احتضن أهل المدينة (يثرب) إخوانهم القادمين إليهم من مكة وساعدوهم بروحهم وما يملكون. ولهذا السبب سُمي المسلمون المكيون الذين هاجروا بـ «**المهاجرين**»، وسُمي المسلمون من أهل المدينة (يثرب) بـ «**الأنصار**» أي الذين يساعدون وينصرون.

يقول الحق عز وجل في شأن المهاجرين والأنصار:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، ١٠٠)

خطة المشركين لاغتيال رسول الله ﷺ.

كان المشركون كلما مر يوم يرون مكة تخلو من أهلها، وبدأوا يدركون شيئًا فشيئًا أن نتيجة عملهم ستكون وبالاً عليهم. فقرروا أن يجتمعوا في «**دار الندوة** » لكي يجدوا حلاً قاطعًا وحاسماً. وانضم لهذا الاجتماع شيخٌ كبيرٌ في السن قال أنه من نجد. وكان هذا الشيخ شيطانًا تمثل في صورة إنسان.

وتناقش القوم وتجادلوا فيما يجب أن يفعلوه فقال بعضهم نقبض على رسول الله ﷺ ونحبسه، وقال آخرون نطرده من مكة. ولكن الشيطان كان يعارض كل هذه الحلول. وفي نهاية الأمر اتفق الجميع على قرار ظالم خسيس هو قتل حبيب الله ﷺ.

وقد عرض هذا الإقتراح أبو جهل فرعون هذه الأمة فقال:

أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدون إليه، فيضربونه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالديّة فدفعناها لهم. فقال الشيخ النجدي:

القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره (ابن هشام، جـ٢، ٩٣-٩٥)

وفي أثناء اتخاذ هذا القرار كان رسول الله ﷺ وحيدًا تقريبًا في مكة. وقد أرسل الرسول ﷺ المسلمين قبله وفضل أن يبقى ليهاجر بعد أصحابه حتى يراقب ما يحدث ويطمئن لسير الأمور لأنه يحنو على أمته. وكان في عدم مجيء الإذن لرسول الله ﷺ بالهجرة حكمة إلهية دقيقة.

فمثلاً كان أبو بكر رفيق رسول الله ﷺ الوحيد في هذه الرحلة المنتظرة كلما طلب الإذن لنفسه بالهجرة كان جواب الرسول ﷺ:

«لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا» (ابن هشام، جـ٢ ،٩٢).

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه الذي أسعده كثيرًا هذا الرد بالإستعداد والتجهيز للهجرة فاشترى ناقتين بثمانمائة درهم، وعلف الناقتين في منزله أربعة أشهر (البخاري، مناقب الأنصار، ٤٥)

وعندما بدأ المشركون في التحرك لتنفيذ خطتهم التي استقروا عليها جاء الأمر الإلهي لرسول الله ﷺ بالخروج للهجرة، ونزلت على رسول الله ﷺ تلك الآية الكريمة:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (الإسراء،٨٠)

وفضلاً عن تلك الآية الكريمة فقد أخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بالمؤامرة التي صنعها المشركون وقال له: «لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه» (ابن هشام، جـ٢، ٩٥)

وبناء على ذلك ذهب رسول الله ﷺ إلى أبي بكر في حر الظهيرة الذي كان يستريح فيه الجميع فقال له:

«قد أذن لي في الخروج والهجرة»

فقال أبو بكر رضي الله عنه: الصحبة يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: **«الصحبة»**

ففرح أبو بكر لهذا الرد حتى فاضت عيناه بالدموع من الفرح وغمرته السعادة البالغة.(انظر: ابن هشام، جـ٢ ،٩٧-٩٨)

وبعد ذلك استدعى رسول الله ﷺ سيدنا علياً رضي الله عنه وأخبره أنه سيهاجر إلى المدينة (يثرب)؛ ولكنه أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس. وذلك لأنه لم يكن أحد بمكة عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله ﷺ لما يعلم من صدقه وأمانته. وكتدبير واحتياط لمواجهة خطة الإغتيال التي قررها المشركون قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه:

«نم على فراشي، وتسج ببردى هذا، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» (ابن هشام، جـ٢، ٩٥، ٩٨).

والأمر اللافت للنظر في هذا الشأن أن علياً رضي الله عنه قد سلم لرسول الله ﷺ دون تردد أو مراجعة، ذلك أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يكونوا يترددون أبدًا في التسليم لأوامر رسول الله ﷺ، ولم يكن أحد منهم يهمل بالتأكيد في إتباعه في كل ما يقول ويفعل. ولم يسألوه أبدًا في أي وقت عن أمر أمرهم به أسئلة من قبيل لماذا وما السبب، وكانوا ينفذون في الحال أيّاً ما كان يأمرهم به. وكانوا يعرفون جيدًا أنهم إن تركوا شيئًا من أمره يضلون ويخسرون، وكانوا يخشون هذا ويخافونه، وكان ارتباطهم بالقرآن والسنة النبوية المطهرة كارتباط الظل بصاحبه. (البخاري، الخمس،١؛ مسلم: الجهاد، الجهاد، ٥٢)

وفي ليلة الهجرة كان المشركون يحاصرون منزل رسول الله ﷺ حتى يمنعونه من الخروج، ولكن رسول الله ﷺ المتوكل على ربه أحسن ما يكون التوكل والمسلم له أفضل ما يكون التسليم لم يصبه هم ولا غم ولا ريب أبدًا، فخرج رسول الله ﷺ من بيته وهو يقرأ تلك الآيات الكريمة:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَداً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَداًّ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (يس، ٨-٩)

وبعد أن خرج رسول الله ﷺ من الباب أخذ حفنة من تراب في يده فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ومر رسول الله ﷺ من بينهم وقد أخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، لأنه أعمى أبصارهم كما أعمى قلوبهم.

وطبيعي أن القلوب والأبصار العمياء التي ليس لديها القدرة على رؤية نوره لم تستطع أن ترى شخصه وجسده الشريف ﷺ!!

ولكن المشركين الذين لم يروا رسول الله ﷺ وهو يخرج من بيته، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟

قالوا: محمداً، قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

فقالوا: أين ابن عمك؟

قال: قلتم له اخرج عنا، فخرج عنكم. فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه. وعند ذلك سبوا عليًا وتشاجروا معه، حتى أنهم حملوه معهم إلى المسجد الحرام، وبعد أن حبسوه مدة تركوه. (سيرة ابن هشام، جـ٢، ٩٦؛ أحمد، جـ١، ٣٤٨؛ اليعقوبي، جـ٢، ٣٩).

وبينما كان هؤلاء المشركون التعساء الذين عميت قلوبهم وعيونهم عن رؤية الحقيقة ينتظرون حول بيت النبيﷺ وفي نيتهم أن يقتلوه، كان رسول اللهﷺ في معية الله وحفظه حتى وصل إلى بيت أبي بكر ﷺ.

لقد كان المشركون يمكرون برسول اللهﷺ وكان الله يمكر بهم. لأنه ليس هناك أمر يتحقق دون إرادته وقد أخبرنا الحق ﷻ عن هذا الأمر فقال:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال، ٣٠)

الرحلة الشاقة

بعد أن خرج رسول اللهﷺ من بيته ذهب إلى بيت أبي بكرﷺ الذي أعد ناقتين استعدادًا للهجرة. ورغم أن أبا بكر ﷺ لم يطلب ثمنًا للراحلة؛ إلا أن رسول اللهﷺ دفع ثمنها لأبي بكرﷺ. واتخذ رسول اللهﷺ التدابير اللازمة حتى أنه خرج مع أبي بكر ﷺ من الباب الخلفي للبيت.

وكتدبير دقيق حتى لم يدرك أحد أنه ذاهب إلى المدينة (يثرب) سلك رسول اللهﷺ الطريق الذي يضاده تمامًا. وفي طريق الهجرة كان أبو بكر ﷺ يمشي أمام النبي ﷺ مرة وخلفه مرة.

فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال أبو بكر ﷺ:

«إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك».

وسارا هكذا حتى إذا وصلا إلى غار ثور. فقال أبو بكر ﷺ:

«ابق كما أنت حتى أدخل يدي فأستبرئ، فإن كانت فيه دابة أصابتني قبلك».

فدخل فاستبرأ ثم قال ﷺ:

«انزل يا رسول الله فنزل» (ابن كثير، البداية، جـ٣، ٢٢٢-٢٢٣)

وفي هذه الأثناء ذهب المشركون وعلى رأسهم أبو جهل إلى بيت أبي بكر ﷺ وسألوا ابنته أسماء عنه فلما أجابت بأنها لا تعرف نفث أبو جهل عن حقده وغضبه فلطم أسماء على وجهها.

وبقي رسول اللهﷺ وصاحبه في الغار مدة وكان ذلك ليستريحا معًا في الغار قليلا، ويختفيا عن أعين المشركين التي كانت تبحث عنهما في الطرق المؤدية للمدينة. وفي ذلك الوقت الذي نفدت فيه تدابير العبد، أصبحوا وقد أحاطتهم العناية الإلهية وكانوا تحت عين الله تعالى ورعايته.

فمثلاً خرج بعض المشركين يبحثون عنهما ويتفقدون أثرهما حتى وصلوا إلى غار ثور، ولكنهم عندما نظروا فيه وجدوا العنكبوت وقد نسجت خيوطها على باب الغار، ووجدوا الحمامة قد صنعت عشًا ووضعت فيه البيض فعادوا وهم متأكدون أن رسول الله ﷺ لم يدخل من باب الغار أبدًا، وأنه من المستحيل أن يكون فيه هو وصاحبه (انظر: ابن هشام، جـ١، ٢٩؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ٢٣- ٢٤)

ولأن الله تعالى كان هو المعين والحافظ والكافل لهذين المسافرين العزيزين، لذا فعندما جاء المشركون التعساء إلى باب الغار لم يروا غير عش الحمامة وخيوط العنكبوت.

ولكن مع كل ذلك فقد عاش أبو بكر رضي الله عنه لحظات صعبة في داخل الغار فقد شعر بالخوف ولكن ليس على نفسه ولكن على رسول الله ﷺ. لأن المشركين عندما وصلوا إلى الغار ووقفوا عند بابه لو نظروا تحت أقدامهم لرأوا رسول الله ﷺ وصاحبه.

ولكنهم رأوا على باب الغار نسج العنكبوت فقال قائل منهم: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: وما حاجتكم إلى الغار! إنّ عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد ﷺ. ولو دخل الغار لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض. وقال أبو جهل: أما والله إني لأحسبه قريباً يرانا، ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا. (ابن سعد، جـ١، ٢٢٨؛ الحلبي، جـ٢، ٢٠٩)

وفي تلك الأثناء كان أبو بكر رضي الله عنه الذي ملأ الخوف قلبه على حياة الرسول ﷺ يقول:

يارسول الله أنا إن مت فإنما أنا رجل وأنت إن مت فإنما أنت هذا الدين

فقال له رسول الله ﷺ:

«**يا أبا بكر لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**». (ابن كثير، البداية، جـ٣، ٢٢٣-٢٢٤؛ الدياربكري، جـ١، ٣٢٨-٣٢٩)

وقد ذُكرت تلك الحادثة في قوله تعالى:

﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة،٤٠)

وبعد ذلك يحكي أبو بكر رضي الله عنه عن تلك اللحظات التي مرت عليه في الغار فيقول:

بينما أنا في الغار رأيت أقدام المشركين وسمعت أصواتهم فأقبل علي الهم والخوف، فقلت للنبي ﷺ:

لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ:

«**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**» (البخاري، فضائل الصحابة،٢؛ مسلم، فضائل الصحابة، ١)

لقد كان غار ثور - كما كان غار حراء قبل البعثة النبوية الشريفة- مدرسة إلهية ومكانًا لتعليم معنوي وروحي متميز. ففي غار حراء ألقيت بذور الإيمان تقريبًا، وفي غار ثور نثرت بذور الإحسان والتصوف بعد أن نمت واخضرت جذور الإيمان. وفي غار ثور شوهدت دفقات القدرة والأسرار الإلهية وقُرئت الحكم في كتاب الإنسان والكون. لقد كان غار ثور مدرسة لتحصيل الأسرار الإلهية والتعليم القلبي.

وهذا يظهر أن أي شخص عليه أن يعيش الشريعة أولاً، ثم بعد ذلك عليه أن يطور استعداده من أجل أن يعيش حياة صوفية .

إن رسول الله ﷺ لم يكن وحيدًا مدة بقائه في غار ثور التي استمرت ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ بل كان معه صديقه وخير البشر بعد الأنبياء (عليهم السلام) كان معه أبو بكر ﷺ. ولقد نال أبو بكر ﷺ شرف ورفعة وفضل أن يكون صاحب رسول الله ﷺ وحده في الغار لمدة ثلاثة أيام.

وعندما قال نور الوجود ﷺ لصاحبه:

﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ (التوبة، ٤٠)

كان في نفس الوقت يلقنه سرّاً أن يكون في معية الله تعالى. وكان هذه بداية عبادة الذكر الحق في الإسلام، وانفتاح النوافذ التي في القلوب على الله ﷻ، ووجود شعور الإطمئنان والسكينة فيها. أي أن غار ثور كان هو مكان البداية لتعليم قلبي يوصل العبد إلى الله تعالى، وهو بالتبعية المرحلة الأولى لهذه الرحلة الإلهية.

وقد بدأ تدفق أسرار العالم القلبي لرسول الله ﷺ -الذي هو منبع نوراني- على أمته للمرة الأولى في غار ثور مع أبي بكر ﷺ.

وهكذا أصبح أبو بكر ﷺ أولَ حلقةٍ في السلسلة الذهبية التي ستستمر حتى يوم القيامة. وتيار المحبة ذلك الذي نبع من قلب رسول الله ﷺ، وتدفق نحو قلب أبي بكر ﷺ، واستمر يتدفق من بعده إلى قلوب أحباب الحق يمر من حلقة إلى أخرى حتى يومنا هذا.

إن بداية المحبة ونهايتها التي يُشعر بها نحو أحباب الحق هي محبة رسول الله ﷺ. والواقع أن تجديد المحبة لرسول الله ﷺ يكون ممكنًا بتأسيس رابطة المحبة وتقويتها فيما بينا وبينه. وأول خطوة في ذلك هي المحبة التي يُشعر بها نحو أحباب الحق ﷻ، ونحو محبي رسول الله ﷺ.

لقد وضع رسول الله ﷺ رأسه الشريفة المباركة على ركبة أبي بكر ﷺ وأخذته سنة من النوم. وفي تلك الأثناء رأى أبو بكر ﷺ ثقبًا صغيرًا في مكان قريب منه في المغارة، فخشي أن تخرج منة حشرة تؤذي

رسول الله ﷺ، فوضع على الفور قدمه على هذا الثقب حتى لا يتعرض رسول الله ﷺ للأذى دون أن يوقظه. وظهر أن أبا بكر ﷺ كان محقًا فبعد مدة لدغت حية قدمه فما حركها وما أزاحها، ولكن من شدة ألمه بكى ﷺ فنزلت دمعة على وجه رسول الله ﷺ فقام من نومه مفزوعًا فقال ﷺ:

«ما بك يا أبا بكر؟»

قال ﷺ: فداك أبي وأمي لقد لدغتُ يا رسول الله ﷺ.(البيهقي، الدلائل، جـ٢ ، ٤٧٧ ؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ٢٢٣)

وكانت أسماء بنت أبي بكر ﷺ تحضر الطعام لهما أثناء الإقامة في غار ثور. أما ابنه عبدالله فكان يأتي إليهما في الغار تنفيذًا لأمر والده، ثم يتركهما إذا أسفر الصباح حتى ليبدو أنه يبيت في مكة ويصبح مع المشركين فيها. وكان عبدالله شابًا ذكيًا يقظًا إلى أقصى درجة فكان يندس بين المشركين ويتسمع الأخبار وما يدبره المشركون لرسول الله ﷺ من مكائد ويأتي فيخبر رسول الله ﷺ بها (ابن هشام، جـ٢، ٩٩ ؛ البخاري، مناقب الأنصار، ٤٥؛ الهيثمي، جـ٦ ، ٥٣)

وظل المشركون طوال ثلاثة أيام يبحثون عن رسول الله ﷺ حتى انقطع أملهم ورجاؤهم في أن يجدوه، ولما أخبر عبد الله رسول الله ﷺ أن المشركين لم يعد لديهم أمل في العثور عليه خرج من الغار في اليوم الرابع، وركب ناقته وارتحل إلى طريق المدينة (يثرب)، وكانت هذه الرحلة سببًا في حزن رسول الله ﷺ لأنه ترك الأرض التي نشأ عليها وأحبها . ولذلك عندما خرج من الغار التفت إلى مكة وقال:

«أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأنت أحب بلاد الله إلي، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك» (أنظر: تفسير ابن كثير، جـ٧/ ٣١٢؛ الطبري ٢٦/ ٣١)

ثم نزل الوحي ليسلي رسول الله ﷺ يقول له:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (القصص، ٨٥)

وهذه المبشرات كانت تبشر بالعودة إلى مكة. وفي نفس الوقت حولت الحزن الذي كان في قلب رسول الله ﷺ إلى علامة أولى لفتح مكة.

وكانت المسافة بين مكة والمدينة (يثرب) تبلغ أربعمائة كيلو متر تقريبًا. وهذه المسافة كانت تقطعها الراحلة في ذلك الوقت في ثمانية أيام. وكان الطريق طويلاً والجو حاراً، والرمال كالنار الحامية. وسارت هذه القافلة المباركة في هذا الطريق أربع وعشرين ساعة بلا توقف. ولأن أبا بكر ﷺ كان يسافر إلى الشام للتجارة كثيرًا فقد كان يعرف كثيرًا من الناس لذا فعندما قابل أحدهم في أثناء رحلته سألوه قائلين:

يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ يقصدون رسول الله ﷺ،

فقال لهم: «هادي يهدين الطريق». وكان ذلك على سبيل الحيطة والحذر من أبي بكرﷺ خشية أن تعرف قريش بهما. (ابن سعد، جـ١، ٢٣٣-٢٣٥؛ أحمد، المسند، جـ٣/ ٢١١)

وسار الركب المبارك الذي يضم رسول الله ﷺ ومعه الصديق أبو بكر ﷺ ومولاه عامر بن فهيرة، ومرشدهم في الطريق عبدالله بن أريقط حتى وصل خيمةً عند مكان يسمى «القديد»، وكانت هذه الخيمة لسيدة تسمى أم معبد الخزاعية، وكانت أم معبد الخزاعية، امرأة جلدةً تقعد بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم من يمر بها، فسألوها تمراً أو لحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم في قحط وجفاف،

فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى،

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاةٍ في كسر الخيمة فقال ﷺ: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**»

قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم،

فقال ﷺ: «**هل بها من لبن؟**»

قالت: هي أجهد من ذلك،

قال ﷺ: «**أتأذنين لي أن أحلبها؟**»

قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً!

فدعا رسول الله ﷺ، بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال ﷺ: «**اللهم بارك لها في شاتها!**»

قال: فتفاجت ودرت واجترت، فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا،

وكان آخر من شرب رسول الله ﷺ وقال ﷺ: «**ساقي القوم آخرهم**»،

فشربوا جميعاً حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها.

تقول أم معبد: فبقيت تلك الشاة عندنا نحلبها إلى زمن عمر ﷺ وفي عام الرمادة لم يكن في الحي حليب أبداً إلا تلك الشاة، تحلب لهم ولجيرانهم، ببركة دعاء رسول الله ﷺ.

ثم ما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً هزلى ما تتساوق، فلما رأى اللبن تعجب وقال: من أين لكم هذا والشاة عازبة ولا حلوبة في البيت؟

قالت أم معبد: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت،

قال أبو معبد: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب، صفيه لي يا أم معبد،

قالت أم معبد:

«رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة[١]، متبلج الوجه[٢]، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة[٣] ولم تزر به صعلة[٤]، وسيم قسيم، في عينيه دعج[٥]، وفي أشفاره وطف[٦]، وفي صوته صحل[٧]، أحور[٨] أكحل[٩] أزج أقرن[١٠]، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع[١١]، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن[١٢]، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر[١٣]، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود[١٤] محشود[١٥]، لا عابث[١٦] ولا مفند[١٧]».

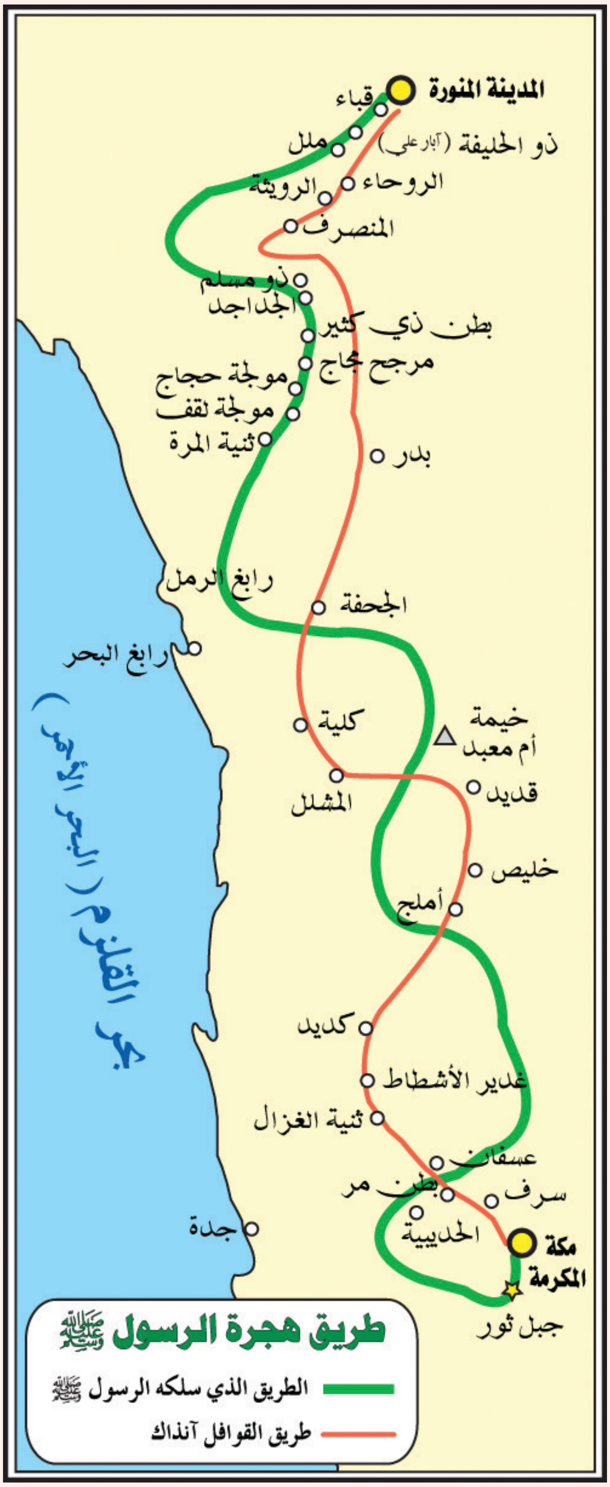
فقال أبو معبد:

«هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر. ولو كنت وافقته يا أم معبد لالتمست أن أصحبه. ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا» (انظر: ابن سعد، جـ١، ٢٣٠-٢٣١؛ جـ٨، ٢٨٩؛ الحاكم، جـ١٠،٣-١١)

وقد بذل المشركون كل الجهد للعثور على هذه القافلة المقدسة؛ إلا أنهم لم يعثروا عليهم وخصصت قريش مكافآتٍ كبيرة لمن يعثر عليهم. وقد طمع كثير من الناس في هذه المكافآت فخرجوا يبحثون

---

١ أي ظاهر الجمال.
٢ أي مشرق الوجه مضيئوه.
٣ الثجلة عِظَمُ البطن مع استرخاء أسفله.
٤ أي صغر الرأس.
٥ اشتد سوادها وبياضها واتسعت.
٦ أي طول.
٧ أي شبه البُحة.
٨ اشتد بياض بياض عينيه مع سواد سوادهما.
٩ أي ذو كُحْلٍ، اسودت أجفانه خلقة.
١٠ أي مَقْرُون الحاجبين من غير اتصال.
١١ أي طول العنق.
١٢ أي كلامه محكم بليغ.
١٣ أي لا قليل ولا كثير أي ليس بقليل فيدل على عِيٍّ ولا كثير فاسد.
١٤ أي مخدوم.
١٥ الذي يجتمع الناس حوله.
١٦ المنسوب الى الجهل وقلة العقل.
١٧ أي لا فائدة في كلامه لكبرٍ أصابه.



عنهم وكان من بين هؤلاء سراقة بن مالك. وبعد بحث طويل وصل سراقة إلى رسول الله ﷺ، فما أن رآه إلا أسرع الخطى بفرسه نحو رسول الله ﷺ. ولكن فجأة غاصت أرجل فرسه بسرعة في الرمال، فسقط من عليه. وما أن خرجت أرجل الفرس من الرمال لم تكن لدى سراقة القوة ليتقدم نحو رسول الله ﷺ.

وعند ذلك ثاب إلى رشده وعلم أنه أخطأ في حق نفسه، وندم على ما فعله، ودخل في الإسلام، وطلب الصفح والعفو من رسول الله ﷺ. فعفا عنه رسول الله ﷺ ودعا له، وأصبح سراقة حبيبًا صادقًا لرسول الله ﷺ.

وبعد هذه الحادثة أخذ سراقة يخفي الخبر، ويصرف العيون عن مكان القافلة المباركة حتى إذا قابله أحد يطلب رسول الله ﷺ وصاحبه كان يقول لهم:

«قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ماههنا» (مسلم، الزهد، ٧٥).

فكان سراقة في أول النهار طالباً لرسول الله ﷺ وصاحبه وآخر النهار حارساً لهما.

وكانت قافلة الهجرة تقترب شيئًا فشيئًا نحو المدينة (يثرب). ورغم كل المحاولات التي قام بها المشركون لقتل رسول الله ﷺ، والمخاطر الكثيرة التي تعرضت لها القافلة في طريق الهجرة، إلا أن رسول الله ﷺ استمر في أداء مهمة التبليغ والدعوة فقد قابله بعض الأشخاص في طريق الهجرة فعرض عليهم الإسلام فأسلموا.

صاحب الرحلة العزيز المنتظرﷺ

كانت المدينة (يثرب) في قمة الحماسة والشوق تنتظر مقدم رسول الله ﷺ. وأخذت تترقب بلهفةٍ وشوق طوال أيام ظهور تلك القافلة المباركة. وبلغ الشوق بأهل المدينة (يثرب) أنهم كانوا يغدون كل يوم إلى خارج المدينة (يثرب) لمقابلة تلك القافلة النورانية، وينتظرون بكل الإهتمام والشوق.

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول للسنة الرابعة عشرة للبعثة النبوية الشريفة تردد صوتُ أسعد قلوب المسلمين أجمعين يقول: «جاء صاحبكم المبارك الذي تنتظرون».

ومع قدوم تلك البشرى ترددت في المدينة (يثرب) أصداء تكبيرات المسلمين، وهرع المسلمون إلى سلاحهم يحملوه ليحموا سيد الكائنات ﷺ الذي هاجر إليهم. وأسرعوا لمقابلة ضيفهم المبجل الجليل القدر رجالاً وعلى كل ضامر.

طلع البدر علينـــا　　مــن ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا　　مـــا دعا لله داع
أيهـــا المبعوث فينا　　جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة　　مرحبًا يـــا خير داع

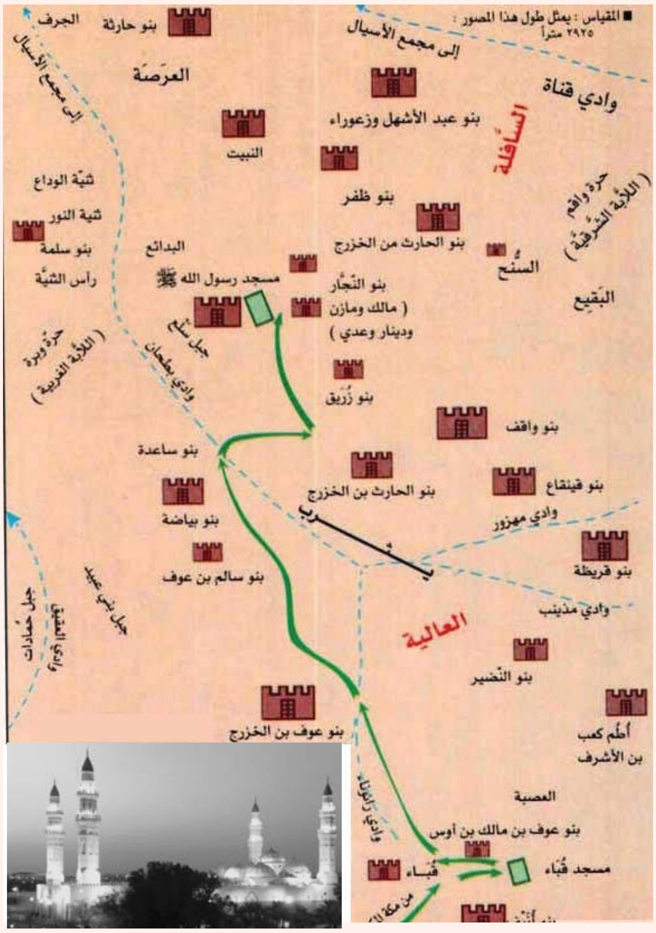
وعندما وصلت القافلة المباركة المنتظرة إلى قباء بالقرب من المدينة (يثرب) ارتفعت في السماء أصوات أهلها بهذا الغناء فرحًا وسرورًا. وأخذت هذه النغمات المؤثرة تعلو وتعلو في السماء فتهيج القلوب. واعتبارًا من هذه اللحظة الخالدة بدأ التاريخ يدون أحداثه وحتى قيام الساعة بـ «**التقويم الهجري**».

وكان أكثر المسلمين الذين خرجوا لتلك المقابلة لم يروا رسول الله المصطفى وسيد العالمين ﷺ لذا ظنوا أن أبا بكر ﷺ هو رسول الله ﷺ. وجلس رسول الله ﷺ صامتًا حتى أصابته الشمس فأقبل أبو بكر ﷺ حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ.(البخاري، مناقب الأنصار، ٤٥)

مسجد قباء مسجد أسس على التقوى

كانت قباء وهي مكان قريب من المدينة (يثرب) أول محطة لرحلة الهجرة. ونزل رسول الله ﷺ في قباء ضيفًا على منزل بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة. وفي هذه المدة أُسس مسجد قباء المشهور. وقد اشترك رسول الله ﷺ بنفسه في بناء هذا المسجد.

وكان مسجد قباء أول مسجد أقيم في الإسلام. وكان له مكانة هامة في تاريخ الإسلام بسبب أنه تم تأسيسه في حادثة مهمة كحادثة الهجرة. وقد ورد ذكر هذا المسجد في القرآن الكريم في قوله تعالى:



﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة، ١٠٨)[١]

وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ إن هذه الأية:

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ نزلت في أهل قباء (الترمذي، التفسير، ٩)

وعندما وصل المهاجرون الأوائل إلى قباء بدأ المسلمون في إقامة الصلاة في مكان لبني عمرو بن عوف وقد أمَّهُم سالم مولى حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنًا وأقرأهم بالقرآن (ابن سعد، جـ٣، ص٨٧)

وقد قام نور الوجود ﷺ بتوسيع تلك الرقعة من الأرض التي صلى عليها المهاجرون أول صلاة وأقام فيها مسجد قباء. واستمرت جهود التربية والتعليم في المسجد النبوي، ومسجد قباء مثل سائر المساجد التسعة التي كانت في المدينة (يثرب). وكان رسول الله ﷺ يسأل عن الفعاليات التي تتم وتتسارع فيه. (حميد الله، نبي الإسلام، جـ٢، ٧٧١)

وكان رسول الله يأتي مسجد قباء كل سبت، وكان يزوره راكبًا أو ماشيًا وكان يكره أن يخرج منه حتى يصلي فيه (البخاري، فضائل الصلاة،٣، ٤؛ مسلم، الحج، ٥١٦)

وقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بهذا فقال في حديث شريف:

«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ» (ابن ماجة، الإقامة، ١٩٧؛ النسائي، المساجد، ٩)

١ استند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك إلى عبارة (من أول يوم) في هذه الأية عند اتخاذ الهجرة كبداية للتقويم الهجري.

صلاة الجمعة الأولى في وادي رأنوناء

لما خرج رسول الله ﷺ من قباء اجتمعت بنو عمر بن عوف بعدما علمت أن رسول الله ﷺ سيفارقهم ويحرمهم من شرف المكوث بينهم فقالوا له: أخرجت ملالاً منا أم تريد دارًا خيرًا من دارنا؟

فقال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى**» (أي يثرب أي المدينة) (الديار بكري، جـ١، ٣٣٩)

وبعد أن أتم رسول الله ﷺ ضيافته في قباء التي استمرت أربعة عشر يومًا خرج ومن معه يريدون الذهاب إلى المدينة، وكان التحرك أحد أيام الجمعة فلما جاء وقت الظهر كان رسول الله ﷺ قد وصل إلى وادي يسمى «**وادي رأنوناء**»، فحطت القافلة عنده ونزل من على ناقته لإقامة صلاة الجمعة. لأن المسلمين أصبح لهم دولة يمكن أن يعيشوا فيها بحرية وطمأنينة وأمان. وأصبح فرض صلاة الجمعة علامة على أنه قد أصبحت هناك سلطة وحكم للإسلام والمسلمين. فأقيمت هناك صلاة الجمعة للمرة الأولى وخطب فيهم رسول الله ﷺ.

الخطبة الأولى:

«أيها الناس! تُوبُوا إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا، فِي يَوْمِي هَذَا، فِي شَهْرِي هَذَا مِنْ عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدِي، وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتِخْفَافًا بِهَا أَوْ جُحُودًا بِهَا، فَلاَ جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَلاَ بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ. أَلاَ وَلاَ صَلاَةَ لَهُ، وَلاَ زَكَاةَ لَهُ، وَلاَ حَجَّ لَهُ، وَلاَ صَوْمَ لَهُ، وَلاَ بِرَّ لَهُ حَتَّى يَتُوبَ. فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، أَلاَ لاَ تَؤُمَّنَّ امْرَأَةٌ رَجُلاً، وَلاَ يَؤُمَّنَّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا، وَلاَ يَؤُمَّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا، إِلاَّ أَنْ يَقْهَرَهُ بِسُلْطَانٍ يَخَافُ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ» (ابن ماجه، الإقامة،٧٨)

«أيها الناس ! قدموا لأنفسكم، تعلمنّ والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعنَّ غنمه ليس لها راع، ثم مَا مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ. ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». (البخاري، التوحيد،٣٦؛ مسلم، الزكاة،٩٧؛ ابن هشام، جـ١، ١١٨-١١٩؛ البيهقي، دلائل النبوة، جـ٢، ٥٢٤)

الخطبة الثانية

«إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ فِي قَلْبِهِ وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللهُ، أَحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ يَخْتَارُ اللهُ وَيَصْطَفِي، فَقَدْ سَمَّاهُ خِيرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَالصَّالِحِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا أَتَى النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَأَصْدِقُوا اللهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ. إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» (البيهقي، جـ٢، ٥٢٤-٥٢٥)

وقد لخصت هذه الخطب جوهر الدين في شتى موضوعاته مثل العقيدة، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات. فضلاً عن ذلك فإن فرض صلاة الجمعة في أثناء الهجرة يشير إلى أهمية وضرورة تجمع المسلمين وعدم تفرقهم.

انتظار حماسي في المدينة

قبل أن يتحرك رسول الله ﷺ من قباء إلى المدينة أرسل خبرًا إلى بني النجار فجاؤوا متقلدين السيوف -وكانوا أخواله- فسلموا على النبي ﷺ وعلى أبي بكر ﷺ وقالوا:

"اركبا آمنين مطاعين" (البخاري، مناقب الأنصار، ٤٦)

وبعد صلاة الجمعة ركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء ودخل المدينة في صحبة أبي بكر ﷺ ووجهاء بني النجار ومن معه من المسلمين.

وقد طلب أهل المدينة جميعهم من رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم ضيفًا. وكان كل منهم حريص على أن يبذل روحة مقابل أن ينتقل رسول الله ﷺ إلى بيته. حتى أنه صارت منازعات فيما بينهم على من ينال هذا الشرف. ولكن رسول الله ﷺ كان يشير إلى ناقته القصواء ويقول لهم:

«إِنَّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهَا» (ابن هشام، جـ٢/ ١١٢-١١٣)

وبهذا الشكل حل رسول الله ﷺ معضلة من ينزل عليه ضيفًا في بيته دون أن يكسر خاطر أحد من أهل المدينة. وبعد أن بركت الناقة وقامت مرة أو مرتين بركت الناقة أمام منزل الصحابي الجليل خالد

بن زيد أبو أيوب الأنصاري ﵁. ففرح أبو أيوب الأنصاري فرحًا لا يمكن لأحد أن يصفه، فأخذ يدعو رسول الله ﷺ والبشر يملأ قلبه ووجه قائلاً: "تفضل يا رسول الله ﷺ شرف منزلنا".

فذهب رسول الله ﷺ نحو بيت أبي أيوب الأنصاري ﵁، وبينما هو في الطريق خرجت بنات صغيرات من بني النجار يضربن بالدف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

فقال لهن سلطان القلوب ﷺ:

«**أتحبونني؟**»

قلن نعم يا رسول الله .

فقال سيد العالمين الذي فرح لفرحهن، وسعد لسعادتهن:

«**اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَأُحِبُّكُنَّ**» قالها ثلاثًا (ابن ماجة، النكاح، ٢١؛ الديار بكري، ١، ٣٤١)

يحكى البراء بن عازب ﵁ فيقول:

ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى أن الرسول ﷺ عندما دخل المدينة صعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون:

"يا محمد يا رسول الله، يا محمد يا رسول الله" (البخاري، مناقب الأنصار، ٤٠؛ مسلم، الزهد، ٧٥)

ويحكى أيضًا أنس بن مالك ﵁ فيقول:

"شهدت يوم دخل رسول الله ﷺ المدينة فما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه. ولما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شئ" (أحمد، المسند، جـ٣ ،١٢٢؛الترمذي: المناقب، جـ١).

وقام أهل المدينة فنحروا الجزر فرحًا وشكرًا لمقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة (أحمد، المسند، جـ٣، ٣٠١).

ومع تلك الهجرة التاريخية وصل العهد المكي إلى نهايته وبدأ العهد المدني.

أسئلة القسم الثالث

أ- الأسئلة التقليدية

١. ما أسباب المقاطعة التي قام بها المشركون ضد المسلمين؟ وكيف انتهت؟
٢. ما الحكم في المعجزات التي أُعطيت لرسول الله ﷺ؟
٣. ما السبب في أن سائر الرسل لهم معجزات في بعض الأمور ورسول الله ﷺ له معجزات في كثير من الأمور؟
٤. ما الدروس المستفادة من رحلة الطائف؟
٥. كيف دعا رسول الله ﷺ على أهل الطائف في مواجهة المعاملة السيئة والمريرة التي لقيها منهم؟
٦. ما النتائج التي ظهرت من بيعة العقبة الأولى؟
٧. كيف يمكن تفسير حدوث حادثة المعراج بعد رحلة الطائف؟
٨. هل هناك فرق بين قول الناس: «لا إله إلا الله» في سنوات الإسلام الأولى استجابة لرسول الله ﷺ وبين أن يقول الناس: «لا إله إلا الله» اليوم؟
٩. كيف رد أبو بكر رضي الله عنه على تحريضات المشركين الساخرة من حادثة المعراج؟
١٠. ما السبب في أنه لم تكن هناك حاجة للسيوف في فتح المدينة؟
١١. ما أهم قرار اُتخذ بعد بيعة العقبة الثانية؟
١٢. ما معنى قول رسول الله ﷺ:«فُتحت الأمصار بالسيوف، وفُتحت المدينة بالقرآن»؟
١٣. ما الذي شعر به علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفكر فيه عندما نام على فراش رسول الله ﷺ دون أي تردد ليلة الهجرة إلى المدينة؟
١٤. لماذا حدثت الهجرة بعد معاناة وعذاب استمر ثلاث عشرة سنة؟
١٥. ما الدروس المستفادة من شدة معاناة المسلمون في العهد المكي الذي استمر ثلاث عشرة سنة؟
١٦. أي المساعدات الإلهية نزلت على رسول الله ﷺ في غار ثور؟

١٧. أين وتحت أي ظروف بدأ انتقال أسرار العالم الذي كان منبعه النوراني رسول الله ﷺ؟

١٨. أي الدروس يمكن استخراجها من رد أبي بكر رضي الله عنه عندما قال:«هادى يهديني الطريق» عندما سأله الناس عن رسول الله ﷺ وهو في طريق الهجرة إلى المدينة؟

١٩. في رأيك ماذا يكون السبب في فرض صلاة الجمعة في المدينة وليس في مكة؟

٢٠. مع تشريف رسول الله ﷺ للمدينة كيف أظهر المسلمون حبهم وشوقهم له؟

ب - أكمل الفراغات التالية :

١. إن الحق جل جلاله قد أعطى لرسله خصوصات خارقة تجعلهم يؤثرون في الناس وهم يدعونهم لدين الحق. ويسمى هذا النوع من الخصوصات.............................. .

٢. تسمى حادثة انقسام القمر إلى نصفين معجزة ....

٣. سُمّيَ العام الذي توفي فيه أبو طالب والسيدة خديجة(رضي) بعام ....

٤. الصحابي الذي كان في دخوله الإسلام عند العودة من رحلة الطائف العزاء والتسلية لرسول الله ﷺ هو ....رضي الله عنه.

٥. في حادثةِ الإسراء انتقل رسول الله ﷺ من..............................إلى.............................. .

٦. سُمّيَ العام الثاني عشر للبعثة النبوية الشريفة بعام..............................وذلك لما أحدثه إنتشار الإسلام في المدينة من سعادة وسرور لدى رسول الله ﷺ والمسلمين.

٧. سُمّيَ المسلمون المهاجرون إلى المدينة بـ.............................. ،وسمى المسلمون من أهل المدينة الذين ساعدوهم بـ.............................. .

٨. التقويم الذي اعتبر مجئ رسول الله ﷺ إلى المدينة بداية له هو التقويم.............................. .

٩. مسجد..............................هو أول مسجد أقامه المسلمون.

١٠. أُقيمت أول صلاة جمعة في الإسلام في وادي ....

جـ- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- **أي مما يلي من أسباب المقاطعة التي تمت ضد المسلمين؟**

أ- صرف رسول الله ﷺ عن دعوته.

ب- منع ظهور مسلمين جدد من بين المشركين.

ج- دعم ترك المسلمين لمكة.

د- إيجاد سبيل يمكن عن طريقه قتل رسول الله ﷺ.

٢- **أي مما يلي ليست من النتائج الجيدة التي حدثت للمسلمين بعد انتهاء فترة المقاطعة المشحونة بالصعوبات والأزمات؟**

أ- تقوية شعور الأخوة تحت ظروف قاسية مثل الجوع والقحط.

ب- تنمية مشاعر الشفقة والرحمة في قلوب المشركين نحو المسلمين.

ج- تصور المشركين أنهم بهذه المقاطعة يمكن أن يمنعوا زيادة أعداد المسلمين.

د- انصراف بعض المشركين عن فكرة ظلم المسلمين.

٣- **أي مما يلي ليست من غايات منح المعجزة للرسل؟**

أ- تقوية رؤية الحقائق التي تؤثر في البشر.

ب- إعجاز وقهر المعاندين في الكفر.

ج- تأييد صدق معارف البشر ومعلوماتهم كلها.

د- تسهيل وتيسير إيمان البشر.

٤- **أي مما يلي لم يكن من أهداف رسول الله ﷺ في رحلته إلى الطائف؟**

أ- دعم الإتفاق السياسي مع أهل الطائف الثائرين الغاضبين.

ب- إيجاد وطن جديد للمسلمين يمكنه العيش فيه وممارسة عقائدهم وعباداتهم بحرية.

ج- دعوة أهل الطائف للإسلام وتقوية انتشار الإسلام.

د- إيجاد مخرج للمسلمين يخلصهم من الضغوط والمظالم المتزايدة عليهم.

٥- **بعد أن سالت دماء الرسول ﷺ الطاهرة بسبب إلقاء الحجارة عليه في الطائف جلس يدعو ربه فيقول: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنـزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».**

فأي من مبادئ الدين يمكن أن تستخرج من هذا الدعاء؟

أ-البحث في نفسك أولاً عن أسباب عدم النجاح في الأعمال الدينية.

ب-الإبتعاد عن البشر الجهلاء الذين لا يفيدون في كلامهم أو دعوتهم.

ج-الإيمان بأن التوفيق و الهداية هي لطف رباني ومنحة إلهية.

د-التوسل بالدعاء من أجل إلحاق البشر بطريق الهداية.

٦- **بعد أن عانى رسول الله ﷺ من الظلم والعنت في رحلته إلى الطائف ضيق عليه في مكة بشدة حتى أنه أخد يتنقل بين الناس في المواسم يقول لهم: «قريش منعتني من تبليغ دعوة ربي من منكم يحملني إلى القوم». على ماذا تدلُّ العبارة عن الحال التي وصل إليها رسول الله ﷺ؟**

أ- عن تعب ومَلَل رسول اللهﷺ.

ب- عن يأسه وقلة حيلتهﷺ.

ج-لم يعد بقدرعلى أن يدعو الناس للإسلام في مكة.

د-إنه كان يبحث عن وطن جديد.

٧- **أي من هذه الدروس لا يمكن أن تستخرج من قول رسول الله ﷺ لابنته زينب رضي الله عنها التي جاءت إليه وقد بدا نحرها(رقبتها) لتطهره وترفع الأذى والقاذورات التي وضع عليه بينما كان يبلغ دعوة ربه فقال لها:**

«يا بنية!خمري عليك نحرك، ولا تخافي على أبيك »؟.

أ-إن الله تعالى لا يذل من يسعى لاعلاء دينه سبحانه.

ب- وجوب المحافظة على العفة والتستر في كل موقف يعيشه المسلم.

ج_ يجب على عائلة من يدعو لدين الله ويبلغه أن تظهر بنفس صلابته.

د- الدعوة ليست فرضًا على كل شخص لأنه عمل شاق يتطلب صبرًا كثيرًا.

٨- أي مما يلي هو سبب الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بحسب ما عبرت عنه الآية الكريمة؟

أ-أراد الله ﷻ أن يظهر بعض آياته لحبيبه ﷺ.

ب-ظهور جبريل في صورته الحقيقية لرسولنا ﷺ.

جـ_إعطاء مهمة النبوة والرسالة لرسولنا ﷺ.

د- إبراز سائر الأنبياء السابقين (عليهم السلام) لرسولنا الكريم ﷺ.

٩- أي مما يلي ليست من المبشرات التي وهبت لرسولنا الكريم ﷺ في المعراج؟

أ- فرض الصلوات الخمس.

ب_الوحي إليه بآخر آيتين من سورة البقرة.

ج- بيان أن الله سيعفو عن ذنوب المؤمنين الكبيرة ما لم يشركوا.

د- بيان أن سائر الأنبياء السابقين لا يمكنهم أن يدخلوا الجنة دون إذن رسول الله ﷺ.

١٠- أي مما يلي ليس من الحكم التي يمكن أن تستخرج من حادثة المعراج؟

أ- لو أصبحنا بالمعراج الذي أنعم الله به على رسوله لكان بإمكاننا أن يكون لنا معراج معنوي.

ب- المعراج هو تخلص الإنسان من الشهوة ومن طين الجسد، والترقي بزيادة الروحانية والذوق المعنوي.

ج-إن الصلاة قد فرضت مباشرة من لدن الحق ﷻ في المعراج لذا فإن إقامة الصلاة تشبه تلقي الوحي.

د- من المؤكد أنه في نهاية الأزمات التي يتعرض لها البشر هناك منحة إلهية كبيرة.

١١- أي من هذه كانت السبب في استمرار إنكار المشركين وعنادهم بعد معجزة الإسراء والمعراج؟

أ- تردد بعض المسلمين وانصرافهم عن الإيمان والإسلام.

ب- القيام بتعذيب رسول الله ﷺ وأذيته كما فعلوا من قبل.

ج-إيمان بعض المسلمين سرًا وإعلانهم الإنكار والكفر علنًا.

د- فقد نعمة وجود رسول الرحمة ﷺ بينهم.

١٢- أي ممايلي ليس من التعهدات التي أخذها رسول الله ﷺ من أهل المدينة في بيعة العقبة الأولى؟

أ-أن يعامل المنافقين بشكل حسن.

ب- ألا يسرقوا.

ج- ألا يأتوا ببهتان.

د- ألا يأووا بناتهم.

١٣- أي مما يلي ليس واحدة من الخصوصيات الواجب اتخاذها نموذجًا من حياة مصعب ا بن عمير؟

أ-ترجيح السعادة الأبدية على سعادة الدنيا، ونعم الآخرة على نعم الدنيا.

ب-بذل أعظم الجهد من أجل نشر الإسلام وإدخال الناس فيه.

ج-ترك كل شيء من الثروة والجاه، وإعطاء النفس للذكر والعبادة.

د-الهجرة إذا تطلب الأمر من بلده من أجل خدمة الناس وتبليغ الدين.

١٤- أي مما يلي ليست من الأشياء التي طلبها رسول الله ﷺ من أهل المدينة في بيعة العقبة الثانية؟

أ- ألا يرجعوا مرة أخرى إلى دينهم وعقائدهم القديمة؟

ب- حماية رسول الله ﷺ كما يحمون أموالهم وأرواحهم نفسها.

ج- طاعة رسول الله ﷺ في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر.

د- توفير احتياجات الطعام والمأوى للمسلمين في المدينة.

١٥- أي مما يلي ليست من المناهج التي اتبعها رسول الله ﷺ لمواجهة الأذى والتعذيب الذي قام به المشركون في مكة ضد المسلمين؟

أ- إحياء حماسة الإيمان في قلوب المؤمنين وزيادة غيرتهم وشوقهم.

ب- دعم المؤمنين بالأمل والصبر والتحمل في مواجهة المشقات والمحن.

ج- رد الصاع صاعين للمشركين على تعذيبهم للمسلمين.

د- ربط القلوب بالله تعالى في العسر واليسر،وإظهار التوكل والتسليم.

١٦- وعندما قرر أن يهاجر إلى المدينة ذهب إلى الكعبة وصلى ركعتين هناك وقال لمن حول الكعبة من المشركين:"من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، ويرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي. فما تبعه أحد، ولا سار خلفه أحد". من الصحابي قائل العبارة السابقة التي تدلل على الجسارة والشجاعة الكبيرة التي تظهر مدى استعداد صاحبها لتحمل كل أنواع النتائج بما فيها الموت في سبيل إيمانه؟

أ-سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب- سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ج- سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

د- سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١٧- ما أكبر خطر شكلته هجرة المسلمين للمدينة على المشركين؟

أ-أنهم لم يعد في مقدورهم إيذاء المسلمين وظلمهم أكثر من ذلك.

ب-انتشار الإسلام واكتسابه عزة ومنعة خارج مكة.

ج-التأثير السلبي على التجارة في مكة بسبب هجرة المسلمين.

د-تسلح المسلمين في زمن قصير وتعرضهم للمشركين.

١٨- **أي مما يلي ليست من الأسباب التي دعت الرسول ﷺ للبقاء في مكة ليكون آخر المهاجرين إلى المدينة بعد هجرة المسلمين؟**

أ-التفكير في أمته وطلب السلامة لهم والأطمئنان عليهم أولا.

ب-عدم مجيء أمر الهجرة إليه حتى ذلك الوقت.

ج-عدم وجود راحلة للهجرة ورفيق للطريق.

د-مراقبة الأحوال وما تبقى في مكة والتحكم في الموقف.

١٩- **أي من الأحداث التي حدثت في غار ثور لا يمكن أن تُقبل كعنصر بداية لطريق التصوف؟**

أ- تعليم رسول الله ﷺ الذكر الخفي قائلاً: «لا تحزن إن الله معنا».

ب- الحب الشديد الذي كان يشعر به أبو بكرﷺ تجاه رسول الله ﷺ، والمعية الخاصة التي كانت في غار ثور أوجدت «الرابطة» التي في التصوف.

ج- القرب القلبي والبدني الذي عاشه أبو بكرﷺ مع رسول الله ﷺ يشكل علاقة المرشد-المريد- في التصوف.

د- الأيام الثلاثة الشاقّة التي مرَّت في غار ثور كانت السبب في فرض الرياضة والعزلة والمجاهدة في التصوف.

٢٠- **لقد قام أهل المدينة بأربعة أشياء تدلل على حبهم لرسول الله ﷺ هي:**

- خروج كل المسلمين وانتظارهم وترقبهم لمقدم رسول الله ﷺ.
- إنشاد الأغاني التي تعبر عن فرحتهم.
- إحاطة رجال المدينة المسلحين به لحمايته.
- رغبة كل فرد وحرصه على استضافة رسول الله ﷺ.

فما هي النتيجة المشتركة التي يمكن أن تُستنتج من هذه السلوكيات التي قام بها مسلمو المدينة تجاه رسول الله ﷺ؟

أ- أن أهل المدينة أصحاب فطرة حماسية للغاية.

ب- حب مسلمي المدينة الشديد لرسول الله ﷺ.

ج- سعي أهل المدينة لاثبات حبهم لرسول الله ﷺ بشكل ما.

د- أهل المدينة هم أناس شديدو التسرع والعجلة.

مفاتيح الأجوبة

أجوبة القسم الأول
ب – الفراغات

١. سيدنا محمد.
٢. الأحناف.
٣. دعوة/ بشارة/ رؤيا.
٤. ١٢/ ٢٠/ ٥٧١.
٥. الفارقليط.
٦. ثويبة/ حليمة.
٧. السادسة/ الثامنة.
٨. خديجة/ ٤٠.
٩. إبراهيم.
١٠. فاطمة.

جـ- الإجابة الصحيحة

١. ج ٢. ب ٣. ج ٤. ب ٥. د ٦. أ ٧. ب ٨. د ٩. ب ١٠. د
١١. أ ١٢. ب ١٣. ج ١٤. د ١٥. أ ١٦. ب ١٧. ب ١٨. أ ١٩. ج ٢٠. د

أجوبة القسم الثاني
ب – الفراغات

١. الأربعين
٢. السيدة خديجة.
٣. أمي.
٤. ياسر/ سمية.
٥. الرابع.
٦. رجب/ الخامس.
٧. اثنا عشر/ خمس.
٨. دار الأرقم.
٩. أبو لهب/ المسد.
١٠. سيدنا عثمان.

جـ- الإجابة الصحيحة

١. أ ٢. أ ٣. ب ٤. د ٥. ج ٦. د ٧. د ٨. أ ٩. ب ١٠. ج
١١. أ ١٢. أ ١٣. د ١٤. ب ١٥. ب ١٦. ج ١٧. د ١٨. أ ١٩. ب ٢٠. أ

أجوبة القسم الثالث
ب – الفراغات

١. معجزة.
٢. شق القمر.
٣. الحزن.
٤. عدَّاس.
٥. المسجد الحرام/ المسجد الأقصى.
٦. السرور.
٧. المهاجرين/ الأنصار.
٨. الهجري.
٩. قباء.
١٠. رانوناء.

جـ- الإجابة الصحيحة

١. ج ٢. ب ٣. ج ٤. أ ٥. ب ٦. د ٧. د ٨. أ ٩. د ١٠. ج
١١. د ١٢. أ ١٣. ج ١٤. د ١٥. ج ١٦. د ١٧. ب ١٨. ج ١٩. د ٢٠. ب

المحتــــــــــويـــــات